من حلاوة الروح

رواية بالعامية

صفاء عبد المنعم

EDITORIAL HISPANO-EGIPCIA
SANABEL
سنابل للنشر والتوزيع
N.I.F. 50325580-Q

الإشراف العام
د. طلعت شاهين

مدير التحرير
علي حامد

المراسلات:
ص.ب.: 22
الحي المتميز. مدينة 6 أكتوبر
مصر

Tel.:
(202) 835 40 69
Mob.:
(2012) 410 20 08
e-mail:
sanabook@maktoob.com
sanabook@hotmail.com



من حلاوة الروح

المؤلف :
صفاء عبد المنعم

الطبعة الثانية :
يوليو 2005
رقم الإيداع:
٢٠٠٥/١١٢٥٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-5634-18-0

رسم الغلاف:
مي مجدي الجابري
تصميم وتنفيذ الغلاف:
كامل جرافيك

إهـداء

إلى الذين رحلوا.

صفاء



... قاعـــد لوحـــدك، بـــين ســـبع بيبـــان
متفـــتحين عليـــك، تقـــرقش ملـــح العـــين
والعافيه، وتفك زراير القميص من العرق،
وصهد الذكريات اللى ابتدى يقب عليك
فجأة..

دا من حلاة الروح



وبالعافية حطيت الحجر التؤيله وراء الباب، ودخلت أوضتي. الدنيا بتشتي وبردان، الأوضة فاضية، وبتصفّر. خفت، وفضلت أنده (زي المجنون) عَ البت نبويه، أنها ترد، ولا تقول أنا أه، أبدا! كأنها فص ملح وداب، أو كأن الأرض انشقت وبلعتها. لّميت شوية خشب كَسر، على حتتين قوالح، وقُلت أولعهم، أدّفَى بيهم. ولما صفيو، قعدت على فرشتي، قول يجي ساعه، اتنين، إن البت تظهر، أو يبان لها أثر، أبدًا ! قمت مَرّةَ تانيه، أدعبس عليها، يمكن تكون راحت هنا ولا هنا. مش عتلان فيها. تكون نامت ع السطح؟ آخر ما زهقت، قلت أعمل دور شاي. ادعبس ع السكر، ع الشاي، فين وفين، لقيت مَجمْع السُكّر تحت السرير، وشوية شاي يدوب يكَحّلو عين عيل، حطيتهم على بعض في البراد وسيبتُهم ع الجَمر، وكل شويه انده:

يا نبويه،

يا بت.

آه يابنت الواطي، هربتي على فين؟

قعدت حيران، أعد السنين ولِيّام، وحبَّتين وقادت في جتتي النار.

– يا خرابي، يا اهل البيت، يا حسن، يا حُستَنَه، يا زنَّه، ياولاد، نبوية هربت، نبوية هربت، وانتو هربتو. وفْضِلْت اجري زي المجنون في البيت، ألفّ وادور، حوالين نفسي، في الإوضْ، ع السطح، ما خَلِّيتش مطرح، البت فص ملح وداب.

الله يجازيكي يا شيخه، دوختيني وراكـــي. ســـنين وِيّـــام وأنـــا متغمي، سنين وايّام وانا ساكت، سنين واِيّام وانا بِلَف.

سنين وانا باعشقك بابت!

* * *

... نسيت أن البيت فِضِي!

فِضِي من زمان، من يوم ما راح كل واحد منهم في حتّه وسابوني.

بقى أنا، اللي ياما دوخت بنات ونسوان، أقع الوقعه دي؟

فينك يا حُسْنَه، إنتي وزنَّه، فين البيت، والعيال واللَّمه؟

هجيتو، وسيبتوني، هجيتو ياولاد الكلب؟

" وفضلت قاعد لوحدك، بين سبع ببيان متفتحين عليك، تقرقش ملح العين والعافية، وتفك زراير القميص من العرق، وصهد الذكريات اللى ابتدى يقب عليك فجأة".

آه بانت المجنونه، إتلِّمي، واترِكني على جنب.

آه منك يا هايْجَه.

دا من حلاوة الروح.

* * *

آخر ما زهقت

دعبست لي على سيجاره، وفي الآخر لميــت لِعقــابْ البايتــه، ولفُيتَها، وقعدت اشرب.

– بقى يا بن الرفضي، أنت مش عايز تسيب البيت وتغور؟

– أغور فين بس يابا فرج.

أديني قرشين، وانا امشي، اشوف أوضه، ولاّ خرَابــه، اتّــاوى فيها.

أنا وحيد، لا معايا مال، ولاّ مرَه، ولا عيال، ولا حتى شغله

– أنا كنت ولدتك ونسيتك؟

فارقنا بَقى، حتتين العيال كبرو، ونفسي ألمهم. نفسي أهد البيــت وابنيه، نفسي افرح بيهم قبل ما موت.

– وانا يابا فرج، اروح فين؟ اهُون عليك. أترمي في الشارع بعد العمر ده!!

– الله، اللي خلقك يتكفّل بيك ياخي. هو اللي هيرزقك.

– منين؟ وانا ولا ورايا، ولا قدامي.

– إهيه.

دور على أيتها مطرح، هو أنا وَلي أمْرَك

وبعزم ما بيه راح شايل حتّتين العَفْش، هيلا بيلا، وراميهم برّه.

يومها انا لا خفُت ولا اتهزّيت. بالعكس تَـبِّت وعاندت، وقلـت له: أعلى ما في خيلك اركبه. الله يخرب بيتك يابا فرج، خلِّتني سُقت العند، وهو ساق عليَّا طوب الأرض، اني اسيب له البيـت. وعنهـا وراح في ليله، مسلط عربيه نقل كبيره تدخل الشارع، وتعمـل إنهـا بتديَّر، وترح خَابطه البيت، حتة خبّطَه، موقعاه. تَـبِّت وعانـدت، وقلت له: مش هاسيب. أصل الخوف ده شيء كبير ، كبير قوي، وقد ما نخاف يكبر. ورجع لي تاني، وتالت، وعاشر، ولما طهقت منـه، قلت له: هات عشر تلاف جنيه، جنيه ينطح جنيه، وانـا اسـيب. الله يخرب بيتك يابا فرج، ودني بتْوِش من ساعتها.

– خلاص، خَلِّيك، وخَلِّي البيت. يارب يقع على دماغك.

– على دماغي، على دماغك، مش هاسيب، تعرف لو قربت لي، أو سلطت عليا حد، أو عملت حركاتك الهايفه اياها، هاروح فيك فـي داهيه. هاموِّت حد من عيالك. هاموِّتهم كلهم. وياروح ما بعدك روح.

* * *

... الدنيا برد، والهوا بيوِش فِي وِدانى.

وصوت العيال بيرن، والأرض بتغطس بيًّا وتْقَب، والحيطان بتقرَّب عليًّا. بَاينِّك يا طوبه قاسيه السنه دي ! ولاَّ انا اللي عجزِّت، تعالو، تعالو، قربو يا عيال، دفُّوني:

بختك يا ابو بخيت

كوم مين ده

كوم السلطان

فيه إيه

خوخ ورمان

هات حتّه

القطة كّلتِها

والقطه

ع الكوم لخضر

والكوم الخضر

عند البيت

والبيت

عايز ينباع

والبيّاع

واقف ع الباب

والباب

عند النجار

والنجار

عايز مسمار

والمسمار

عند الحداد

والحداد

عايز بيضه

والبيضه

عند الفرخه

والفرخه

عايزه قمحه

والقمحه

عند الفلاَّح

والفلاَّح

عايز مفتاح

والمفتاح

عند البوَّاب

والبواب

واقف ع الباب

والباب

قافل ع البيت

والبيت

عايز ينباع

والبياع

واقف واقف

مستنى اللى خايف

والخايف

مالوش مكان

ولسانه

اخرس جبان

– بَسْ، بَسْ.

دايره كبيره قوي يا واد ودخلتها، وياريتك قادرعليها. إلا، مبقاش فيك، ولا وراك، ولا قدامك، ياريتك يانبويه سمعتي كلامي، ولا هّجيتيش، وخلّيتك جنبي، مش كان زَمانْنا بندَفّي بعض. ياترى انتي فين يابت، وَحْشاني.

* * *

النار انطفت، والشاي خِلِص، والجيب ما عدش فيه.

يا خسارتك يا واد في البهدله. هيه يلا، نتلف وننام.

بتبص للسقف وتبحلق بعنيك، بقى لك سنين ويام بتستنظر. لا البيت انهد، ولا انت فوتُّه. إيه اللي مخلِّيك متمسك بيه ولابِد، تكونش يا واد ناوي تورثه، ولا فكرك يعني اللى راح ممكن يرجع.

نبويه والهيصه، والعيال، واللَّمَّه.

* * *

في يوم من ذات ليّام، كان فيه:

فرّان، وصيّاد، وجزماتي، وحُسْنَه، عندها عيال (نبويه، وبطـه، وعصفوره، وحسن وسعيد). جوزها طول النهار في المجاري، بيبعد. الوليَّه حلوه، وعمّاله تُزرْبُ في عيال. الله ينور عليك ياواد يا علوه يا فران، ياجوز زنَّه يا وسخ، مراتك زنَّانه يا واد، والعيال ولاد حُسْـنَه طلَّعوها عليها *(ياسوده ياكُودَه ياحتَّ الهباب، يازنَّه يا عفشه يابوز الغـراب)* حُسْنَه بيضه وحلوه.الله يخرب بيتك يا راجل. ليـه هربـان؟ تعـالى شوف علْوَه هيتهبل على مراتك، كل يوم يضرب مراته علقه سـخنه *(نامى يا بنت المركوب، زَرْقه، ومنِّيله بنيله، حتى بناتك زُرق، منِّيلين زَيّك)*. يا خيبتك يا علْوَه حتى اسمها لزق فيك، والعيال ولاد حُسْنَه طلعوهـا (علْوَه جوز زنَّه راح، علْوَه جوز زنَّه جه).

السنين بتمر، وكإن الكلام ده حصل امبارح، وكل مـا افتكـره، افطس على روحي من الضحك، يوم ما علْـوَه زنـق زنَّـه علـى الطرمبه، ودب بوزها في الحوض، وفضلت تبقلل، لحد ما لحقتهـا، كات هتفطس. اله يجازيك يا علْوَه، كنت هتموتهـا. وهيَّـا تصـرخ وتولول *(يا وَاكِل نَاسَك، هُوَّ لما يقوم، يقطع الهدوم، الله يجازيك يا واد عمي)* يومها اتلميِّنا عليه، ورحمناها من عَلْقه وفضلت تشكي وتتشاكي. الجو برد قوي، والوقت سرقني، والفجر قرب يطلـع. طوبـه السـنه دي شديده، والحيطان خربقت، ولاعدش نافع دهـان ولا اسـمنت. كـل

السنين دي فاتت، ولساك قاعد مطرحك، تقرقش ملح العين والعافية، وتصب الكلام في بحر مالوش قرار. وحيد، ووحداني، لوحدك، آه يا انا أمَّا اقوم، اجيب بطانيه اتلف بيها. آه يا رِجْلي. رِجْلي وقفت، باينِّي عجزت، مش قادر اتحرك. لِسّاك بتعافر، وبتستنظر يابن ستيته. آه يا رِجْلي آه.

* * *

البيت واسع وكبير يجي فدان.

وبالعافية حطيت الحجر التُقيله ورا الباب الكبير، لما تخش تقابلك أول أوضه (أوضة أم رامي) قصادها بالظبط (أُوضة بـــدر) تخـــش حبتين، تلاقِي حوش كبير في وسطه طُرمبه خربانه، دايمن حوضها مليان ميه منتّنه، والعيال طول النهار يحدفو فيه طـــوب، وعـــاملين سنانير خيط في طرفها قولاحه، مسميينها صـــيّاده. وطـــول النهـــار يحدفوها، قال ايه بيصطادو سمك. جنب الطرمبـــه (أوضـــة زنّـــه) وقصادها (أُوضةَ صغيَّرة) بيقولو كانت كابنيه قديم واتـــردم، دايمـــن مسكوكه، مليانه كوابيس، اللى ينام فيها لوحده، تطلع عليه كـــوابيس تخنقه، ويفضل ينده على حد ينجده، لوحد سمعه يبقى نجا، ما حَـــدِّش سمْعُه يفْضَل يرفَّس، ويرفَّس لَّما يصحى لوَحْدُهُ، ويبقى عَرقُه مَرقُـــه، ونَفَسُه مقطوع ومش قادر. وبيقولو كمان كان ســـاكن فيهـــا واحـــده وبنتها، ماتو جواها لحد ما نتّنو، وريحتهم فاحت، ويمكن عشان كـــدا دايمن اللى يقربَّ من الباب يشم ريحه وحشه هَلَّه عليه، تخش حبتين على جنب تلاقي (أوضة حُسْنَه) كبيره وواسعه، أكبر أوضـــه فـــي البيت، وليها منْوَر، كانت حُسْنَه مأجَّراه، تنيم فيه العيال في الصيف. قدامك بالظبط، وبعرض البيت (أوضه لوزه) مرات عبده، أوضـــتها ليها شباك ع المنور، والعيال ولاد حُسْنَه، كانو دايمن يبصـــو عليهـــا منه. تحوَّد يمين، من بعد أوضة لوزه، تلاقي في آخرهـــا أُوضـــتي والحَمَّام اللى مالوش باب، وعشان الواحد يروح له لازم يفضل يتكلم بصوت عالي من أول الطُرقه، أو يتنتحنح، أو يكح، لو حد رد يرجع،

بصوت عالي من أول الطُرقه، أو يتنتحنح، أو يكح، لو حد رد يرجع، ما ردّش، يكمل ويخُش. وكانت دايمن المَيَّه ملياه، وعشان كدا بــنحط قالبين طوب، وآخر ما زهقنا عَمَالنا سقّاله من الطوب نمشى عليهــا، صف طويل فوقه لوح خشب، يبقى الواحد ماشي والمَيَّه حواليه، كأنه هايعدي النيل، وياسلام لو حَدْ حَبْ يروح الحمام بالليل، وأصلن البيت ما فهوش نور، تبقى حُوسَه، يعني لازم الواحــد، يشــمّر هدومــه، ويمسكها بسنانه، ويفضل يخوض في الميه، وهو عَمَّال يقول يا ساتر استر يا رب. إن عدَّى ووصل للعين بالسلامه، الفرحه تنّســيه وهــو راجع ياخد بالُه، فيروح واقع، مدبوب على بوزه، وتبقى ليله، يفضل يصرخ، ويصرخ، وينده على حد ينجده. الكل يخاف ويكشْ، لحســن تكون العفاريت اللي في الأوضه الصغيره طلعت وهيَّا اللــى بتنـــده. وفي يوم كان سراج، جوز ام رامي راجع باليل سكران، وحالته نيله، دخل يعمل زى الناس، وهو عَمَّال يغنى ولا على بالُه. *(زَمَّـر، كركـر، فرويكا، طبل، طبل، مزيكا، حته راجل انتيكا)*. لقى البــاب راح داخــل، وكسِّل يتنحنح أو ينده، ووقف يطرطر، أتاري زنَّه قاعده، وهــو مــا شفهاش، لكن هيَّا عرفته، فضلت قاطعه خَنَس، وسابته لمــا خَلَّــص، وفي الآخر، راحت قايمه، ودابّه بوزه في عين الكابنيه من ســكات، وراحت جايبه لوح الخشب وصَدّرته، وحطِّت وراه قــالبين طــوب، ودخلت أوضتها، وفضل صاحبنا يقلل ويعافر، لحد النهار ما طلــع. ودخلت حُسْنَه، لقته مزروع، زرع بصل، وكان خــلاص بيفرفــر، وقرَّب يفطس، راحتْ مطَلَّعاه، وفضِلتْ تَصوَّت، لحد البيت كله مــا صحي.

وقفت زنَّه تضحك، وقالت: عشان يبقى يحرم يشُخْ ع الملايكـــه وهو سكران، ما هو كل مكان وله ملايكته اللي حارساه. جت حُسْنَه جنبها، وراحت زغداها بكوعها، وقالت لها: حرام عليكي يا شـــيخه، الراجل كان هايفطس.

– ياريتُه كان فِطِسْ، كنا استريّحنا منه، السُّـكْرَى أبـــو شَــخَّه، الراجل واقف يعمل زي العيال من ع الباب، ولا اختشـــى ولا خـــلاّ عنده دم. طب يقول إحْمِ، دستور ياسيادي، أعوذ بـــك مـــن الخبـــث والخبائث، يعمل أى حس، يقوم اللي جوه يعرف، فيقوم، أو يلم نفسه، أو يرد عليه، أو يخلي عنده دم، ويبعد لحد لما اللي جوه يخرج، مش يعمل زى العيال من ع الباب.

سمعها سراج من هنا، وراح فاق، وقام واقف على حيله، ما هو عرف أن هيَّا اللي عملت فيه كده. وقف وعينيك ما تشوف إلا النور، قعد يزعق، ويهللِّ: يامَرَه يابنت الكلب. كنت عـــايزه تمـــوتيني. الله يخرب بيتك، يا زنَّه، ياسُوده. انتَ فين يا عفش، ياجوز العفشه، لـــو كنت راجل اطلع بَرَّه، وانا أوَرِّيك.

هيَّا شافته بيردح لها، راحت قالعه الشبشب البلاستيك اللي فـــي رجلها، وطارت وراه.

هو يجري وهيا تجري وراه، ويصرخ زي العيال. وينده علـــى مراته، إلحقيني يا صباح إلحقيني يا مَرَه، وزنَّه تطير وراه:

– أنا عِفْشَه يا عِفِشْ. أُمَّال، لو ماكنتش عبَر الدنيا كلها فيك كنت عملت ايه؟ أعور، وبعين إزاز، وأصلع، وصغيَّر، وقد عقلة الصباع، والواحده تكسرك على ركبتها، ولسانك زفر وعايز قاطعُـــه، بتســـب

الدين ع الصبح، يا نجس، يا سُكَرِى يا ابن الكلب، والله لا أوَرِّيــك، هاموّتك واريَّح الدنيا منَّك، عيني عليكي يام ام رامي، أنا عارفه بتنام معاك أزاي، يازَمَّر الكلب، والله لا أموتك، واكســب فيهــا ثــواب، واريَّحها منك.

مرات سراج شافت زنَّه، وهيَّا عَمَّاله تلفْ ورا جوزهــا، وهــو يدخل أوضه، يخرج من التانيه، ويجري قدامها زي الفار، وكل مــا تطوله، تدِّيله بالشبشب على دماغه، والعيال واقفين يهيَّصو، ويسقفو، راحت خالعه الشبشب اللي في رجلها وطارت وراها، وكل ما تطولها تديها بالشبشب على دماغها.

العيال ولاد زنَّه شافو امهم، ومرات سراج بتجري وراها، طلعوا هما كمان يجرو، ويحدفوها بالطوب، وولاد سراج شافوا كدا، طلعــو يجرو همَّا كمان وراهم، وتَتُّهم يجروا ورا بعض لحَــدْ مــا خرجــو الشارع.

وقفت حُسْنَه تضحك، وتخبط كف على كف. وتقوللي: شوف يــا وحيد يا ابنى، هَم يبكِّي وهَم يضحك. صدق اللي قال مجانين صحيح، عقل صغار، مهاويس. ودقيقتين وتلاقيهم بياكْلُو فى طبق واحد.

العيال ولاد حُسْنَه شافوا كدا وطارو، يشوفو الأخبــار، وكــل شويه عيِّل منهم يدخل ويحكي اللي حصل. والواد سعيد بيجي فرحان ومظأطط.

– زنَّه مسكت زَمَّر، وضربته على قرعته لغاية ما جابت دَمْ.

– مرات زَمَّر مسكت زنَّــه ووقعتهــا ع الأرض، وركبــت فوقهــا وفضلت تديها بالشبشب، وفين يوجعك، لغاية ما سخسخت.

– خدُ يا سعد. خد يا وَلَه، انت يا مخفي النَقَا.

– اسكتي يا امَّه، اما اروح اتفرَّج.

دخل أبو سعد من بَرَّه، وهو راجع من الشغل، لقي مراته طايره ورا الواد سعد وفَرْدةْ الشبشب في ايدها. ولمه وهيصَه قدام البـــاب. وحُسْنَه بتنده عَ الواد انه يرجع، وهو مش معَبَّرها.

– هو فيه إيه ع لصبح؟

– اسكت يا ابو سعد. فاتَكْ نُص عُمْرَك. مَعْركه سبحان من يطفيها.

– إيه يا بوز النحس ع الصبح.

– دي زنَّه ماسكه في خناق ابو رامي.

– والله الراجل ده مهزّأ نفسه مع انه غلبان، وبيصعب ع الواحد.

– ايوه يا خويا غلبان، بس وقع مع اللى ما يرحم.

– زنَّه رُخره غلبانه، بس لسانها عايز حَشّه.

– أيوه يا خويا، وجوزها يا ما غلب وِيَّاها، لكن ما فـيش فايـــده، دا طبع يا ابو سعيد، والطبع بيطلع بعد الروح.

– يا حُسْنَه. فين الفطار، عايز انام.

– ايوه، ايوه، جايه أهُه.

– فين وفين، دخلت زنَّه، والعيال، بعد ما الشارع اتلم عليهم، والنـــار هدْيت. كان ابو سعيد قاعد قُدَّام أوضتُه، بيفطر، وانا معاه، وحُسْـنَه بتخدِّم علينا. تحطُ العيش، وتغسل الفجل والجرجير.

راح ناده:

– تعالو ياولاد افطرو، واخزو الشيطان، تعالي يازنَّه، تعـــال يـــابو رامي تعالو كلكم.

جُمْ كلهم، وراحو قاعدين، العيال والنسوان.

– الشاي يا حُسْنَه. إعملي براد شاي كبير وتَقلّيه. نهاركم قشطه، افطرو.. افطرو.. عيش سخن، وجبنه قريش، خدو فجــل وجرجيــر طازه، جايبه معايا من القصر. انتو عَمَّالين هنا، تتخـــانقو، والـــريّس طوال الليل سهران، ربِّنا يعينه، أنا شفته. كان البكابورت اللـــي فـــي الجنينه طافح، ورحت أسلَّكُه.

بَصْ لي الرَّيس من الشباك، وضحك، وشاورلي: (خلِّي عنك).

يا سلام يا ولاد، الريس ضحكته حلوه، تُردْ الـــروح، وتشـــفي العليل. ربنا يحميك يا ريسنا ياغالي. أمَّاَ انا فرحان بشكل. وســـمعته بينده ع الجانيني وبيوشوشه، وبعد شويَّه، لقيت الجنايني جَيْ وفي إيده كوباية شاي سُخْنَه، وبيضحك وبيقوللي: الريس باعتْ لك دي. وادَّاني سيجاره. تصدقو، انا فرحت وحسيت اني عـــايز آخـــذه بالحضـــن، وارمي نفسي تحت رجليه، وفضلت ادعي له بنصـــرُه علـــى مـــين يعاديه. لحد النهار ما طلع. وانا ماشي، بَصيِّت ورايا ع الشباك اللـــي كان واقف فيه وبيبُص منه، لقيتُه لسّه صاحي، شاورت لـــه بإيـــدى وحيِّيته، قام ضحك وحيَّاني. وعند ما قربت من الباب لقيت الجنـــايني جاي يجري بالشوط، وبيحط في إيدى فلوس. ساعتها بس عرفت قـــد إيه ريسنا قلبه كبير وبيحب الناس الغلابه.

– يالهو بالي يا ابو سعيد، إنت كنت عريان وانت نايم.

– ايه ياوليَّه انتي فاكراني باحلم، ولاّ بنام أصلن في شغلتنا الخرا دي. والله العظيم دا حصل، وادي الفلوس كمان آهةْ.

– وخدت الفلوس؟

– طبعاً يا زنَّه، أُمَّال كنت هاسيبهم. حد يرفض حاجـــه مــدِّيها لـــه الريس. إنتي كنتي عايْزَاهُم يَودُّوني في داهيه. وعمرى ما هَصْرِفهُم، هاخلِّيهم كدا، بَرَكه، طول ما انا عايش.

– قوللي يابا يطلعو كام؟

– والله يا سعد يا ابني ما اني عارف. ومش هاعِدُّهم، خَلِّـيهم كـدا ببَرِكتْهم.

– طَبْ ما تدِّيني بَريزه يابا، وادِّي امي تعمل لنا مَحْشِي. نِفْسي فـي المحشي، شفته في ايد الواد ابن امُّ فيفيَ.

– يا ابن الطفْسَه محشي ايه. حَدْ يصرف بركة الرِّيس. دُول بَرَكـه، بَرَكه يا وَلَه.

* * *

ياه نَفَسكُم دافي، وكإن الكلام ده كان امبارح

لما زنه ظبطت جوزها بيبص على حسنه من شق الحيطه وهي عريانه في الطشت.

صرخت وهللت.

راح ماسكها وهابدها...

يابنت الكلب، الحيطة هيًا اللي محفوره، يا بنت المفحور. انـــت ناسيه يامَرَه إن البيت قديم ومْخَرْبَق، داب زيَّك ، وبقى كُهنه.

– يالهوي ياجوزي. يا خراب بيتك يا زنًه. نعزّل. نعزّل يا ابـــن عمي، نعزل حرام، دي نار جهنم، وانا مش قادره، عندنا وَلايا يا واد عمي.

– اسمعي انا دماغي متكلفه، ولسه شارب لي حجـــرين، ومـــش عايزهم يطيرو من دماغي. دول ولايا دول، دول معيز زيك. إبقـــي دوَّري على واحد أهبل جَوِّزيه بناتك السود.

– يالهوي، يالهوي، يا خرابي. يا ناس، يا خلق اشُقْ هدومي، يا حُسْنَه يا حراميه، يا بنت الكلب، ياللي جوزك هربان منك، كل يـــوم تُحكُي وتَتحكْحكي لمين يا مَرَه يا بايظه، ياللي من غير راجـــل. يـــا خرابي، جوزي اتهبل.

– يامَرَه نامي وانخمدي، الفراخ نامت، الدنيا ليـــل، والصـــوت بيسري. بطَّلي هَبْد عَ الحيطه.

– عايزه اسمعها يا خويا، عايزه اصحِّيها. بنت يا حُسْنَه اسمعي، اصحي، قومي.

– الله يخيِّبك مَرَه. مالكْ يا زنَّه. مالكْ يا اختي، نامي.

– مِلْتي ومَلمِلْتي يا حُسنَّه. عاملَّه لكْ شَقْ في الحيط، عشان جوزي، يُبصْ عليكي، بيبصبْصلكْ يا اختي. جوزي ابو عيالي، راجلي، وادْ عمِّي، عينُه منِّك يا مَرَه.

– بس يابت جاكي خابطْ، نامي، وقولي يا مسَا.

– هه... مش مصدقه يامرات الهربان. طب لِفِّي وتعالي، تعالي بُصِّ، بُصُّو ياولاد ياولاد كُلُّكم، تعالو بُصُّو واتفرجو.

– آه يابنت الفُضحيه، لِّميتي البيت والدنيا ليل، والناس نامت.

– تعالو بُصُّو، قرَّبُو، جوزي اللي قاعد ده، بيبص علي بنت الكلب دي، من هنا، شاقيِّن شق في الحيطه، وبيبُصُّو لبعض. متِّفقين عليَّا يا غجر. هه وآدي شعرك آهه. يا ناري، لازم أكل بطنها، أكلها أكل. هوَّ قاللي بطنها حلوه، هاتوها، هاتوها بنت الرفضي دى.

– خلاص. خلاص بقى ياولاد، سيبي يازنَّه شعرها، حرام عليكي، إخزُو الشيطان يا ولاد، يا واد يا رامي تعالى سَلِّك معايا يا واد، أو انْدَه عمك وحيد يسلِّك معاك.

– إوعي يا خالتي أم رامي كدا وسَّعي، وسيبيني عليها، إيه يا زنَّه يا شبَطَه، يا سوده، أُمِّي مش كده.

– ايه دا؟ ودي مين، مين اللي بتتكلم؟ والله القوالب نامت ولنْصاص قامت. تعالي يا ست نبويه، تعالي يا بنت الهربان، خُشي يا بت في عِبِّى خُشِّي، ما هو اللي اخْتَشُو ماتو. أمك كل يوم بتستحمى

لمين يا بت؟ وأبوكي فين؟ هربان ليه وسايبكم زي الكلبه وعيالها؟

– وأنتي مالك يا زنّه، يا سوده، يا عفشه، أمي حلوه، مَذلّوله ليه؟ مفروسه ليه؟ قولو ياولاد:

ياسُودَه ياكُودَه

يا حُق الهباب

يازَنّه يا عِفْشَه

يأبوز الغُراب

– يالهوي. ياخَرابي، حُوشوهم عني يا خلق، الولِيَّـــه وعيالهـــا بيضربوني. يا ناس، يا عِلْوَه يا واكل ناسك، ياسي وحيـــد، حُوشْـــهُم عَنّي يا ابوعيالي، حوشْهُم يا واد عمي.

– واد عمك دلوقتي، وانتي عاملّه لي جُرسه وفضيحه. وانا مالي خلّيهم ياكلو مصارين بطنك.

– بس يا زنَّه بس. بس يا حُسنه بس. بس ياولاد حرام علـــيكم. الولِيَّه هتموت يا عِلْوَه، وانت قاعد تتفرج.

– سيبهم، يا سي وحيد يَكْشِ يقطّوعها حِتَتْ، ويخلّصوني منهـــا، المَرَه ام لسان زِفِر دي، وآدي الباب اهه. تعال يا واد يا حسن حُـــطْ الحجر ورا الباب. اسمع يا واد يا حسن، لوقدرت تخلـــص عليهـــا، خلّص عليها.

– يا خويا يا قلبك. أُمّال لو ماكنتْشِ جايبه مصارينها منك، كنت علمت ايه؟

– يا ام رامي، هيَّا دي فيها مصارين، دي ناشفه، دي فيها لسان زى الكرباج، خليه بقى ينفعها، أيوه يا نبويه ادّيها، ادّيها جامد.

– كفاية بقى يا اختي فرفرتي، والدنيا حر، خلاص يا حُسنه قلبك ابيض. صلّْ عَ النبى، واخزُو الشيطان . دا الشيطان شاطر يـــا ولاد. قومي بابت يابَطّه، امْشي جنب الحيطان، في الشارع، ولِمّـــي شـــوية شراميط، وهاتي خَرْيةْ كلب ناشفة. وانت يا واد يا حسن هات شـــوية ملح أمّا ارْقيُهمْ، اتحَسَدْتو والنبي، كل اللي رايح واللي جـــاي يقـــول البيت ده كله يد واحده، كلهم اخوات. بياكلو مع بعض، وينـــامو مـــع بعض، حتى الولِيَّه أمُّ رامي مرات زَمّر كأنها اختهم، ياختي روقـــي. خُدي يا حُسنه شوية الميَّه دُول، خُدي يازنَّه اشربي وراها، خُدو يـــا ولاد اشربو عشان تحبُّو بعض. رَوَّقـــو، رَوَّقـــو، هيَّـــا عـــين والله، والشيطان قدرْ عليكم، ضِحِكْ عليكم وفَسَّا في وســـطكم. والله لا مـــن الصبح رايحه عند ولاد غيته، وجايبه منهم بخور، وعِـــرْق حـــلاوه، وتقاوي رِجْلَه، وماسحه البيت أُوضَه أُوضَه، خلّي العين تمشي، ويـــم الجمعة لَبَخَّركم، وابخَّر البيت والعيال، واطقطقش شوية ملح، أُمَّـــال إيه، الشيطان سكن بينكم ولازم يمشي. العين فَلّقتْ الحجر يـــا وْلاد. وبكره تقولو أم رامي قالت.

* * *

هو انا يا ولاد بَتْحَالا بحلاوتى.

ما أنتم شايفين، وعارفين وقدام عنيكم. الراجل شقيان ليل ونهار، على تلاته جنيه، تلاته جنيه يا عالم يقضوا إيه ولا إيه؟ العيـال، ولاَّ البيت، ولاَّ المدارس، ولاَّ الهدوم. دا الواد المخفي سعد امبارح واخـد خمسين قرش لوحده، والواد حسن عايز شورت للألعاب، والمخفيـه بَطَّه عايزه تروح المدرسه السنه الجايَّه. ونبويـه، بنـت الحمـاره، الفَحلَه، طول النهار، تنكش في الزباله، تلـم صـفيح وإزاز وورق، وتبيعه، أهو بتجيب قرش ولاَّ قرشين، وانا طول النهـار زي التـور المربوط في الساقيه، من دي لدي، عماله ألف مش ملاحقه، اجامـل دي، اروح السوق لدي، اخش عند دي، واحده الاقيها بتغسل، اشطف عليها، واحده بتعمل حَبِّة محشي، ألف معاها، وكل دا ليـه؟ عشـان طبق طبيخ بايت، رغيفين ناشفين، أهو اطلع بأيتها حاجه والسـلام. دي مطاهره عيل اشيل عنها، دي عندها فرح ولاَّ سبوع أطبخ معاها. أهو أحنكش أي حاجه. طيب واللي خلق الخلق إمبارح الوليه أم فيفي اللي قصادنا طلبت مني أعمل لها حبة كسكسي، جابت الدقيق والسمن وعملتهم لها. خدت يدوب طبق وسابت الباقي، قالت: عشان خـاطر العيال.

آهو ربنا بيدبرها، وبنقضيها، واهي ماشيه. يـا ولاد هـو انـا بتعايق، ولابدلل على حلاوتي. ما هو ذل، ذل اني اخدم عند حد، لكن كدا اسمى بساعد، وبجامل، خفيف، خفيف، وبكرامتي بـدل مـا دي

جوزها يبص لي، أو دي تخاف مني، انا بدخل بيوت كتيـــر وقليـــل، الكل بيحترمني، وبيساعدوني من تحت لتحت، جوز شرابات، حتـــة كستور، طرحه نص نص، كله بينفع. وبعدين دا سابع بيت اسكن فيه، دا انا ياما شفت من السكان وعمايلهم، اللي تخبي جوزها وتسك عليه الأوضه، اللي تضربه بالشبشب عشان شافني، واللي تسرّقني، واللى تسبنى. وبعدين ما هو كله على يدك يازنَّه. مش احنا في كـــل بيـــت سوا، ومطرح ما عزل واروح، الاقيكي ورايا، ولا اللي بقوله غلط؟ دي عشرة عمر يا ولاد، دا من عمر نبويه الفحله واحنا سوا. تعبـــت قوي، وجوزي طيب مش بتاع خناق، اقول له: نقعـــد واللـــي مـــش عاجبه يشرب من البحر. يقوللي: ياوليَّه أرض الله واســـعه، واحنـــا خفاف، هو حيلتنا إيه يعني، حصيره ولحاف، ياللا بينا. ونلم هـــدومنا ونطلع. وبعدين ان كان على الحكحكه، اللـــي مزعلاكـــي يـــا زنــــه اتحكحكي. وقال على رأي المثل، إن خسّت عليـــك المؤنـــه، عليـــك بالليفه والصابونه. هو يبقى فقر وجرب.

– يا حبيبتي يا اختي. حقك عليا انا يا حسنه، حقك عليا يا زنه، والنبى يا ولاد اوعو تزعلو، واسكتي يا زنه الله يخليكي. انا قلت انتو اخواتي، وحبايبي، ونضلل على بعض. لقيتكم طيبـــين، قلـــت يابـــت اقعدي، ولما بشوف عيالي نايمين وسط العيال، افرح في سري وآجي اخد العيل من دول، تحلفو وتتحلفو، سيبيه سيبيه نايم وسط اخواتـــه. عرفت معنى الأهل، وحبيتكم. يا سلام يا زنه، ليه عـــايزه تفركشـــي اللمَّه. وليه شرانيه، وطبعك حامي.

– خلاص يا ام رامي، خلاص. هيا كدا، سنين وايام واحنا معاشرين بعض، لا هيَّا دي أول مرَّه، ولا دي آخر مره. هيا كدا نارها قش، تهب، تهب وتصفى على مافيش. دي عشرة عمر. وبعيدن يا زنه، انا ابص لجوزك ليه؟ هو انا معدومة الجوز! دا انا حتى عمري ما حققت في جوزك عاشرنا بعض علي قد ما عشرنا، لكن عمرى ما رفعت عينى واتحققت منه، والراجل الشهاده لله في حاله، والله يخليه ويطول لنا في عمره، كل يوم يقابل الواد حسن ويدي له خمس ترغفه؟ ويدخل، من غير لا حس ولا خبر.

– يالهوي، يا خرابي. خمس ترغفه يامره كل يوم، وتقولي بينكم إيه!

– يوه يازنه، وحدي الله يا اختي بقى. انتي شبطه، حرام عليكي انتي شرانيه كدا ليه. ما تهدي، وتروقي، خلي النار تهدا. يا واد يا رامي، يابت يا أوفه. هاتوا الأكل يا ولاد. هاتوا عيش وملح خلينا نغمس لقمتين، خلي الشيطان يمشي. والنبي لنفطر مع بعض، أنا لسه لحد دلوقتي ماكلتش وبقينا الضهر. إخزو الشيطان واتلمو، لحسن صوتنا طلع بره، وزمانهم بيقولو ياترى فيه إيه. وهما نفسهم يشوفونا واحنا بناكل بعض، وعايزين يعرفوا احنا ليه متجمعين. آديني سامعه صوت أم فيفي بتنده من بره. يالله يا حسنه، يا لله يازنه، يا لله ياولاد كلو، كلو باسم الله، كل يا سي وحيد، كل. الله ما اخزيك ياشيطان.

* * *

كانت ليله نكد.

بس الوليَّه ام رامي، دي وليَّه شاطره، قــدرت تلــم الموضــوع بسرعه. آه ما هيا رخره مجروحه، بس مش قادره تقول، هاتقول إيه، تقول ان جوزها، هو راخر، بيبص على حسنه، وديك النهار زنقتــه بيبص عليها من خرم الباب، ومطرح ما تروح عامل لها زي خيــال المقاته، في الرايحه والجايه، وهيا مطنشه وعامله مش واخده بالهــا. ولما حسنه اشتكت لها منه، قالت لها: لما تلاقيه بيعمل كدا ابقي دبي بوزه في حوض الطرمبه. ما هو عندها حق، وليَّه حلوه وصــغيره، ووشها الدم هيفط منه فط. أهي دنيا، يدي الحلــق للــي بــلا ودان، الراجل هربان في المجارى، والرجاله هتاكل مراته أكل. قال يعنــي انت اللي مش هتاكلها، مش فاكر يا وحيد الكلب، لما الــواد حســن شافك مره وانت نايم على السطح، وعمال تزحزح فى قالب الطوب، وبتبص من سقف الأوضه، ولما سألك قلت له: فيه جنيه وقع منــك، ضحك وقال: ياعم هو انت حيلتك مليم احمر. يومها انكســفت حتــة كسفه، ووشك احمّر، بصيت لقيت الواد راح مطلع من جيبه سيجاره، وولعها، وقعد يشد نفس ورا نفس، كإنه راجل كبير، ويخبط كف على كف، وقاللي: ولع وطنش، يكش تولع، وفضل يضحك، لحد ما الــواد سعيد طلع على صوته.

– انتو بتعملو ايه؟

– الله يجازي شيطانك يا سعيد، مش ناوى تبطل الدحلبــه دي. مش تتحنح، ولا تقول يا ساتر.

– يا ساتر مين يابا. انسى، انسى، وطنش، وطنش تعيش، تاكل قراقيش.

وراح خاطف السيجاره من إيد الواد حسن، ونزل هاتك يا نفخ. آل إيه العيال كبرو، وانت لساتك قاعد، تقرقش ملح العين والعافية. لساك بتنتظر. تستنظر إيه مش عارف؟ الدنيا مست والجو برد. أما اقوم انزل من ع السطح، قبل ما الندى ينزل، وبرد الفجر يقرص ف كتافي.

* * *

– كنت فين يا مخفي النقا انت وهو؟

– أبدا يا امه، كنا في الطراوه ع السطح، بنتفرج.

– تتفرج على إيه يا مخفي انت وهو؟

– وانت مالك يا زنه. على فكره عمي عَلْوَه بيقولك: امك في العش ولا طارت. وهو مش جاي الليله، عنده سهره في الفرن.

– قول له طارت. وكفايه امك هيا اللي في العش ولسه قاعده يا ابن حسنه. إلهي وانت جاهي تطير رقبتك ورقبته، قادر يا كريم.

– بس يا زنه بس.. إنشا لله تطير رقبة عيلتك كلها، اما انا وعمي عِلْوَه لأ. فاهمه يا سوده. انتي ناسيه ان هو اللي مسميني سعد. وبعدين انت قاعده عندنا ليه، مش انتي اللي متخانقه مع امي الصبح يا زنانه.

– والله كبرت يا نمله وبقالك لسان. كنا في جره وخرجنا لبره يا سي سعد.

– بس ياواد اختشي، جاك قطم رقبتك. آه يا مقصوف الرقبه، قوم فز نام، وانت عمال تحش زى الغنم، جتك قرف.

– قايم يا حسنه قايم. ومتزرزريش كدا، لحسن يطق لك عِرْق، واحنا مش ناقصين. كفايه العرق اللي طق في السقف. انا شفت عمي وحيد وهو بيبص منه.

– الله يخرب بيتك يا جلاب المصايب. إيه اللي بتقوله ده.

– وحياة خالتي سعده ام عمي علْوه، وانتي تموتي يا زنه. انا شـفته، حتى اسألي الواد حسن، ما هو كان ع السطح وشافه.

– بس يا فقري بس. دا كان بيدور على جنيه وقع منه. إوعي تصدقي الواد سعيد، دا خباص.

– أيوه يا حسن أيوه. عَرَّصْ عليه عَرَّصْ، عشان مـا قُـولْشِ انـك بتشرب سجاير.

– آه يا ابن المركوب، يابو لسان فالت، طب والله لا وريك.

– حوشهم يا سي وحيد الله ينجيك.حوشهم يا اخويا، العيـال ديِّكـو، مسكو ف بعض.

* * *

ياترى بكره هايجري إيه. يانبويه، يابت، انتي يا فحلــه، اقفلــي الباب يا بت خلينا ننام. فينك يا ابو سعد تيجي تشوف الفحــولا اللــي انت سايبهم عليا. خلاص صحتي راحت وما بقتش قادره. يا بت يــا نبويه. رحتي فين يا بنت حسنه، ياللا.

حطيت جنبي اليمين اتكلت على ربي العالمين.

حطيت جنبي الشمال اتكلت على ربي الرحمن.

العبد في التفكير والرب في التدبير.

تبات نار تصبح رماد.

اتكلت على الله.

* * *

ما كنتش اعرف ان في يوم راح أواجه حد بالشكل السافل ده.

الواد سعد باين عليه هيطلع واد واعر، يلعب بالبيضه والحجـر، اما الواد حسن ده هيليهلى زي امه، على نياته، بيفهم حاجات كتيـر لكن ما يقدرش يقدر خطورتها، بيتعامل بطيبه، لكـن سـعد واد مـا جبتوش ولاّده، سابق سنه، وبيفهمها وهيا طايره، إبليس زي ما قالت عليه زنه.

زنه وسعد ونبويه وسراج عجينه واحده، عايشين يومهم، خراب يا دنيا عمار يا مخي، لسانهم اطول منهم، جواهم نار قايده، بيطفوها بالخناق والزعيق.

لكن حسنه وام رامي ولوزه، طيبين، بيبصو لبعيـد لكـن مـش قادرين يعملو حاجه، لا قـدامهم ولا وراهـم، تحـس المسـكنه ف صوتهم، لكن جواهم قوه جباره.

أما حسن وابوه وعِلوه، دول طينه تانيه خالص، طينـة إحيينـي النهاردا وموتني بكره، ويا روح مـا بعـدك روح، عايشـين يرمـو عصاتهم ويجرو وراها. كلهم غلابه بيكملو عشاهم نوم.

طب وانت، انت يا ابن ستيته العمشه، زى مين، ومع مين، ومن أنهي ملّه، تقدر تقوللي عملت إيه في دنيتك الزمان بيـروح وبيجـي وانت زي ما انت، بكره العيال هاتكبر وانت قاعد مطرحك، تقـرقش ملح العين والعافية... يا سلام، الليله قمره وحلوه بشكل، وما يحلاش القعاد والسهر إلا ع السطح، تحس انك سلطان وانت مع نفسـك، لا

معاك عيل ولا تيل. ولحد امتى، هاتفضل كدا، لا أهـل ولا خـلان، سايب نفسك للدنيا تشيل وتحط فيك. من تلميذ، لصبي فـي مطعـم، لقهوجي، لبياع عصير، كل ما تتزنق تدور لك على شغله، لما القرش يجري في إيدك تسيبها وتجري، زي اللي معمـول لـه عمـل. مـا بتعمرش زي اللى مدعي عليك. الله يرحمك يا امه قولتيها، (هاتعيش لوحدك وتموت لوحدك يا ابن بطني). كان كل يوم ابويـا يصـبحها بعلقه ويمسيها بعلقه، مع انها غلبانه وصوابعها اتقرطمت من الغسيل في البيوت. كان مفتري، ربنا يهده، هيا راحت وهو قاعد على تلهـا. ياما نصحتني وقالت: شوف. بص لصوابع امك اللي قرطمها الغسيل، وعينيا اللي عماله تسح ميه، ولا مية حنفية العمده. حاسب على نفسك يا ابن بطني، واعمل قرش ينفعك، وبطّل سرمحه على السّيم ولعـب الكوره.

الله يرحمك يا امه لو كنتي عايشه، كنت اترميت فـي حضـنك ونهنهت زي العيال ياما نفسي الاقـي صـدر حنـين يضـمني. الله يسامحك يابا تنك تقول: خش ياساقط، اخرج يا ساقط. لما طفشـتني، وهيا حزنت عليا، وفضلت تسح من عينيها لما نظرها ضـاع. وانـا كمان سيبتها ولا سألتش فيها. الله يسامح الكل بقى، اللي راحو واللي قاعدين على وش الدنيا. الليل مسى. والجو برد، والندى قرب ينزل. أما اقوم أخش العش وانكن، يمكن أنام، ولا السقف يقع عليـا ياخـد أجلى.

باين السجاير كمان خلصت، ومفلس. ياه الدنيا بردهـا شـديد، والحيطان خربقت، والهدوم ما عادتش تستر.

– مين، مين على السطح هناك؟ أنت يافقري لساك صاحي.

– إوعى يا عم وحيد، اما اربي الفالت ابو لسان عايز قطعه.

– يا اخي بدل ما تربيه، ربي نفسك الأول، مش كفايه زي الشحط ومش فالح ف المدرسه.

– إيه يا عم وحيد أنت معايا ولا معاه؟

– انا قلبي عليك يا حسن، هو ناصح وعارف مصلحته، أخوك سعد ده تعبان، الدور والباقي عليك، ما تخيبش خيبتي.

– أيوه متغاظ مني إكمني اشطر منه.

– جتكم نيله، شاده نيله، جاوره نيله، انتو لتنين، ما اسخم من ستي الا سيدى،

– شفت يا عم وحيد البت نبويه الفحله، طول النهار دايره ورا عربيات الزباله تنكش فيها.

– أنا شفته والله يا عم وحيد، الواد ابن ام لالو البقاله، كان عمال يضرب فيها، وزانقها جوه البرميل، وراكب فوقها. وبتعيط زي الفحله.

– يهدكو ربنا.. وانت عملت إيه يا مخفي؟

– كنت بتفرج على الفحله وهو نازل فيها دب.

– يخيبك ولد، وازاي تسيبه يضربها؟

– ما هيا ما سكتتش، قامت منفوضه زي المارد، وراحت ماسكه في خناقه وهات يا رزع فيه، لغياية لما سيحت دمه.

– عفارم عليها. نبويه بت فحله ما يتخافش عليها. الدور والباقي على الخيخه حسن، والواد رامي ماسكه من رقبته ونازل فيه خنق لما كان هيفطس.

- امتى حصل ده يا خباص.

- امبارح في المدرسه، كان راكب عليك في الحـــوش، ولـــولا انـــا وأصحابي، كان موتك.

- بس، بس وانت معَّار وكداب.

- أنا معَّار وكداب يا فطيره بتعملها كل يوم قد كدا علـــى الســـرير، تعرف يا عم وحيد العجل ده بيشخ على نفسه.

- قال يعني انت اللي ما بتشخش.

- أنا يا مصنن، طب شم كدا هدومى، وشم هدومه، وشوف مين اللي ريحته صنان.

- بس، بس، انا نازل جاتكو الهم، جوز بغال وبشخه.

* * *

دِبْ، دِبْ، دِبْ...

يا ساتر يا رب. مين اللي بيدب على الباب الساعه دي؟

– لازم حد عارف اننا بناكل.

– قوم يا مخفي يا سعد شوف مين؟

– وانا مالي، هو مافيش إلا انا في المخروب ده. طول النهـــار روح يا سعد، تعالى يا سعد.

– قومي يا مخفية النقا يا بطه افتحي.

– لأ يا اختي أنا خايفه، والدنيا برد.

– اقوم انا يا امه.

– مين، عصفوره، انشالله تكسبي.

– اقوم انا مدام عجزتم، والعجز جالكم. حاضر ياللي ع الباب، اصبر شويه. مين، خالتي سعده. يا أهلا يا أهلا، حمدا لله على سلامتك.

– الله يسلمك يا حسنه يابتي، كيف حالك؟ أمال فين زنه والولاد؟

– تلاقيها نامت.

– هيَّا ام فشله نايمه تفشل لحد دلوقتي، وكل الخبط ده وما سمعتش؟

– روح يا سعد خبط على خالتك زنه، وانده عليها. جابري الزاد يـــا خاله. غيري ريقك.

– تسلمي يابتي، انا فطرت ف القطر من بدري.

– آهي زنه صحيت.

– أهلا يا خاله. شرفتي.

– يا ساتر، مالك بتتكلمي من غير نفس، هو انا جايه استعطى منـــك. دانا حماتك، وخالتك، ام البغل اللي قانيكي يعني تقومي واقفه زنهـــار لما تشوفيني، تقفي على طراطيف صوابعك، وتبوسي يدي كمان.
– يوه يا خالتي، الدنيا نور وبركة.اقدر، دانتي الخير والبركة.
– الله يبارك فيكي يا حسنه يا بتي. ويحلي لك دنيتك. طول عمرك يا مرات ابني وانتي كدا تسدي النفس، ومقابلتك زي وشك، عكره. أمال فين البغل اللي قانيكي، وينه راح؟
– جرى إيه يا خاله، انتي جايه تقولي، يا شر إشتر، ولا بايتــه فـــي القطر تعديهم ع السبحه. قال يا قاعدين يكفيكم شر الجايين .
– قعدت عليكي حيطه يا بنت خيتي، يا فقريه، يا واكله ناسك. جاتها داهيه البطن اللي جابتك.
– جرى إيه يا خاله، انتي قاطعه مشوار طويل عريض، من هنـــاك لهنا مخصوص عشان البقين دول. دا حتى الزياره اللي انتي جايباها تقيله عليكي.
– بتتأوزى يا بنت خضره، كفايه الشيل اللي امك عمّاله تبعتها، الحق عليَّا وحشتوني، جيت اشوفكم.
– يا خاله، قاطعه مشوار يهد الحيل، وليله سفر في القطـــر، عشـــان تشوفينا! شفتي النبي!
– آه يا عرة النساويين، طول عمرك ولسانك ينقط زفت. عيني عليك يا ولدي، وانا اللي جايه مشتاقه، وبايته اخبز في الرغفان، وانضـــف في الزَّفَر، وقاطعه الطريق على ملا وشِّي.
– معلش يا حاجَّه... معلش ، هيا زنه كدا، بس والله قلبها ابيض.

- انتي اللي قلبك ابيض يابتي. دي بت خيتي وانا عارفاهـا، عمـر قلبها ما هايصفي من يمتي، قدمها شوم من يوم ما خـدناها، وشـها يقطع الخميره من البيت. سلعوه، وزي الحدايه، سوده وجربوعه، الله يسامحه ابوها بقى. بنت خضره خلفتها كلها شخاليل. والله ان الواد ما سمع كلامي، واتجوز غيرها، وفرح قلبي بصي ما أني عاملاه ولدي، ولا يمشي فى جنازتي.

- أيوه، اظهر وبان عليك الأمان. قولي بقى ان انتي جايه لكدا، جايه تجوزي المحروس. آهو عندك، جوزيه واشبعي بيه. هو حيلته حاجه. قال اللي خدته القرعه تاخده ام الشعور.

- روقي يازنّه روقي واشربي الشاي، قومو ياولاد العبو بره شويه.

- صباح الخير يا حسنه. مين؟. خاله سعده، ازيك، ليكي وحشه.

- اقعدي يا ام رامي، وحياة دينك يا شيخه، دي مره يقنيها راجل؟

- ايه يا حاجه، أمال لو ماكنتيش وليه كبـاره، وعارفـه الأصـول. ومهما كان دي لحمك، بنت أختك. والضفر عمره ما يطلع م اللحم.

- وحياة الشاي ده ولا اطفحه يا ولاد، اني ما كنت رايده بت خيتـي تتمدد فـ طول ولدى، وكنت رايده بت مليحه، دا ولدى الوحيد، بـت يعبط عليها تملي الحضن، مش ناشفه ومعرقبه.

- بس ، بس يا خاله، ما حدش بيختار نصيبه.

- ياحسنه يابتي، دا وحيدي، وانا رجلي والقبر، بدّي اشيل له صبي، طول عمري كنت أدعي واطلب من ربنا عشر صبيان، لكـن اقـول إيه، ربنا يهدي.

- أيوه كده ادعي لهم وانتي نفسك طاهره. وهي زنه شايله، ويمكـن ربنا يكرمها.

– والنبي يا حسنه لو ربنا كرمها، وجابت ولد، لاروح لام هاشم مشي ع القدم، واعمل ليله لأهل الله، واقول لها: يا طاهره، أنا وفيت الندر وجيت ليكي ع القدم ماشيه. واكنس ضريحها بطرحتي، وأقبل عتبتها، وابات ليله عندها، اسبح واصلي. شالله يا اهل الله شالله يا اهل بيت النبي، وكت اسميه سعد، على اسم ولدك الصغير، حاكم انا احبه موت، أصله واد زين، عفي واعر، يحبني، واحبه، ربنا يخليه لك ويطرح البركه فيه.

* * *

من القصر للسيد، ربنا خلى الولد لكن هو افتكره، كان ضل، وكـــان سند، اتهجلت عليه من بدري، وكان اخوه ابو بخيته، اللي هيـــا زنـــه بنته، كان صغير قالو: يا داهيه نجوزك بخيت. قلت لا والله ما اتمـــد فى طول راجل واصل بعد ابو سعد. سعد ده ولدي الكبير، وانا اسمي الحقيقي، داهيه، والحماره اللي هناك دي اسمها بخيته، المهم جوزوه خيتي الصغيره، وقعد معايا في الدار. حاجيت علـــى ولـــدي كتيـــر، وشقيت، اكتر كان لا ورايا ولا قدامي، وجوز اختي فقير مـــا يقـــدر على الهم، ولا يقدر على شيل لحمال.

ربطت وسطي كيف الرجال، واشتغلت، خدت ولدي وهجيت من بلـــد لبلد، بلاد تشيلنى وبلاد تحطني. اشتغلت في الفاعـــل، كنـــت اشـــيل قصعة المونه كيف الرجال، غيرت اسمي وسميت نفسي سعده، عشان ما خلي حدن يعرفني، وكت كل ما شوف حد يقرب مني، اخد ولدي واهرب، شلت قوالح، شلت دره، صيفت قمح في الغيطـــان، شـــربت البرد والمطر وشفت الشرد وشراويد الصيف، في عز بؤونه وفي عز الحر، كت انزل الغيط، واعبط حمل الحطب ولا عشر رجاله يقـــدرو عليه. واخرج من بيت لبيت، عمري ما عمرت في مطرح، لجل مـــا آخد على حد، ولاحد ياخد عليا. حطيته في عينى، وما خليته يحتـــاج لصنف حاجه. ولما كبر وخضر شنبه، قلت اجوزه، وما في أحلى من لحم الواحد، عاودت البلد، بعد سنين وسنين، لقيت خيتي جوزها مات،

واتجوزت اخوه، وكان فايت بخيته، ومات اخوه التـاني واتجـوزت التالت، خلصت ع لخوات وهيا لساها بحالها كيف الفرع. بخيته مـا هيا شكل امها، بخيته، نشفانه كيف جدّتها، وطبعها وكأنها هيا. وبعـد كدا جايين تقولم، ليش انا بدي اجوزه، معي حق ولا لأه؟

– ربنا يبعت يا خاله ويرزق، ويصلح الحال. اما اقوم اروح السـوق قبل العصر ما يدن.

– فتك بالعافيه.

– عافيتك معاكي يا ام رامي. أما اقوم آنـي كمـان الحـق اصـلي الضهر، عن اذنك يا حسنه يا بتى.

***

ما حد خالي من الهم ولا قلوع المراكب.

الهم في الدنيا مفرق، يا حول الله يا رب. الحمد لله ع الصحه اما اقوم اصحي ابو سعد، الراجل نايم في أوضة وحيد من امبارح، انقلب زي الجمل مطرحه، الراجل بيشقى يا ولداه، لا اللي معاه مرتاح، ولا اللي ما معاه مرتاح.

- يا أهل الله ياللي هنا.

- مين؟ مين اللي بره؟

- انا يا ام حسن، يعني يعجبك كدا العيال، ولادكم يمسكوا الواد ويعدموه العافيه.

- اتفضلي يا اختي، ادخلي. واقفه ع الباب ليه؟ ادخلي يا ام فيفي، بيتك ومطرحك.

- سالخير عليكم.

- يسعد مساكي يا اختي.

- ماهو حرام كدا يا جماعه، الولاد، ولادكم مسكو الواد وهات فين يوجعك. بصي يا ام حسن يرضيكي كدا.

- يا حبيب امك يابني، مين اللي عمل فيك كدا!؟

- ولادكم. حسن وسعد ورامي كلهم، كلهم.

- سالخير يابنيتى.

– مين خالتي ام علوه، ازيك يا حاجه، عاش من شافك، والله ليكـــي وحشه. ازيك، وازي حبايبك.

– حقك علي، اقعدي.

– ولا حق ولاحاجه، دول اخوات، انا بس قلت اما اقول لكم عشـــان تأرطو على العيال شويه.

– قومي يا حسنه يابتىي، مدي يـــدك فـــي القفـــه، وهـــاتي للولـــد قرقوشتين.

– لما تيجي زنه يا خاله.

– قومي بلاش عبط، ولا اقولك، اقوم انا.

* * *

مَسيّكي بالخير ياليلة الجمعه، ياست ست الليالي.

مسيلي على سيدنا محمد

ألفين وتسعين سلامي،

وحياة الكعبه الشريفه،

وحياة الركن اليماني،

تغفر لي كل ما طلع..

من فمي ومن لساني،

لساني سبب البلا،

وفمي من الذنوب اتملا.

يا باسط الأرض يا رافع السما

تغفر لي، انا كتير النوم، وقليل الصلا.

– سالخير يا امّه.

– سالنور يا ولدي. كيف حالك، حبتك العافيه. اسمع يا ولد، انا من الفجر مبدره على أولياء الله الصالحين، هاخدها جوله، وهادعي ربنا يجعل اللي في بطن مراتك ده ولد. إن حصل خير، وإن ما حصل، أنت وحيد، وطاعة الوالدين واجب، وانا بدي اشوف لك دكر قبل ما اموت، احنا بدنا نربي دكوره، فاهم يا ابو الشخاليل. إيش قولك.

- زنه غلبانه يامّه.

- تروح تقعد جنب امها ، ما هيا أمات البنات يقعدو جنب بعض.

- يا ام. دلوك زنه تجيب الوكل، ناكل لقمه وبعدين نفكرو.

- وكل، آه يا ابن سعده يا واكل ناسك، بدك تضحك علي. فينـــك يـــا شيخ سليمان، الله يرحمك، تعالى شوف ولدك عامل كيف الحرمه، بده يسد خشمي.

* * *

....

- أبوه حسن. يا ابو حسن.
- إيه يا حسنه.
- المغارب غربت، والعشا قربت، ميعاد الشغل ياللا.
- ياسلام ياحسنه، لحق النهار خلص، ولا انتي عايزه تتخلصي مني؟
- واخلص منك ليه يا راجلي، انا بس، قلت تقوم تاكــل لــك لقمــه، وتشرب لك كوبايه شاي. تشوف علوه ماله. لحسن قاعد في الحوش بين لعتاب، ومتنكد آخر نكد.
- هيا وصلت؟
- دي امه.
- أمه تنكد عليه؟ هيا ماورهاش غير النكد؟ هما الستات كدا .
- الله يسامحك.
- يسامحني إيه، ما وراكمش غير قلة الراحه، هاتي لقمه، واعملــي الشاي، وحصليني بيه، جاتكم الهم من يوم ما خرجتونــا م الجنـــه، واحنا في نكد. فين الشبشب؟ فين الأكل؟ فين الشاي؟ شهلي.
- والله ما حد عارف مين اللي خرج مين؟ وبعدين جنة إيه اللي ابـــو ظرطه بيقول عليها، جنة امه ناعسه اللي طول النهار رابطه الشاش على راسها ودايره تولول في البلد، ولا جنة ابوه نفاخ المعيــز، دا هم مستتي اصحابه.

***

كنت عتره، ومتدلع.

الله يخرب بيت ابوكي وابويا تمام، جاحدين قوي (الفرن يا علوه حافظ عليه، اتجوزها وخده) آدينى خدتك. راح الفرن، وفضل القرد. والله يابنت الكلب لا أتجوز.

– سالخير يا علوه، مالك، بتكلم نفسك؟ الشاي يا حسنه.

– خليهم تلاته يا ام حسن. ازيك يا ابو حسن، فينك يا راجل.

– ازيك ياسي وحيد.

– الله... الله مالك يا علوه؟ ايه زرعتها قته طرحت بطيخ.

– لا وحياتك زرعتها زنّه، طرحت شخاليل، علـــى رأي امـــي. هأ... هأ.

– أيوه كدا يا راجل اضحك، انسى الهم ينساك. ولع... ولع .

– خد الشاي يا ابو حسن.

– فين سعد يا حسنه.

– تلاقيه بيتسرمح مع العيال في الشارع. عايزه ليـــه يـــا ســـي وحيد؟

– ابدا، يشوف لنا قولحتين ع السطح، نـــولعهم، خلـــي القعـــده تصهلل. أما انا جايب حته، انما إيه، هتعجبك قوي، شم يا علوه شم، صنف هاينسيك زنه وامك وشخاليلها.

– ياواد يا سعد، ياسعد.. هما اختفو فين؟ ولع .. ولع يا راجـــل، ولا يهمك.

– ايوه يا عم وحيد امي بتقول انك عاوزني.
– اطلع لنا على السطح، وهات لنا قولحتين وروق المسائل.
– حالا... حمامه.
– ياولد.
– قصدي فريره
– جن مصور سعد، انا باحبه، خفيف مش زى العجل الكبير حسن، عامل زي الطوبه.
– وياريته فالح يا وحيد يا ابني.
– بكره يفلح يا ابو حسن ويجيب شخاليل.
– الله يحظك ياسي وحيد دمك شربات. عن اذنكم انا بقى عندي شغل.
– يا راجل حد يسيب ام حسن ويروح الشغل، وبعدين النهاردا فيه حفله، حبيبك رشدى هيبدّع، ويمكن يغني تحت السجر يا وهيبه، ولا يقول يا عرباوي.
– يا بختك يا عم ما هو حبيبك انت كمان.
– يا عم اقعد دا انا حتى جبت حجاره جديده للراديو، والمزاج هيبقى آخر غرام، ويمكن يجي عمك سراج آخر الليل سكران طينه ويعمل زي كل يوم، ويقف وسط الحوش ويشخر ويجعر ويسب ويعلن ابو خاش الدنيا. وتبقى ليله ويفضل ينادي يا صباح، للصبح. وفي الآخر تطلع بالشبشب وما ينامش إلا لما ياخد الطريحه التمام.
– كان الله في عونه هيعمل إيه، العيشه صعبه، وحمله تقيل. تصبحو على خير.
– وانت من أهله يا سيدى، ابقى سلم لنا ع القصر واللي فيه.

* * *

- يازنّه، ياحسنه، يا ام رامي، الحفله ابتدت تعالو يا ولاد ياللا.
- يا ترى يا وحيد مين اللي هيغني الأول.
- يوه يا زنه اقعدي، وانت هتسمعي.
- أول أغنيه بختي، والتانيه بخت أم رامي والتالته حسنه. إلا قوليلي يا ام رامي.
- خير يازنّه.
- جوزك ليه اسمه زمر؟
- وده جوز ده، جوز الندامه بعيد عنك. أهلي الله يجازيهم، كان عنده ورشه كبيره، ورشة جزم، وكان فرفور حيلة امه وابـوه، وبتـاع نسوان، وانا كنت بطه، حسنه دي ولا حاجه، كنت بنت خير وعز، وحدانيه، بت على سبع صبيان، أبويا قال: نجوزه صباح، يساعدنا واهي تتاوى، والبت كبرت، واتدورت. وجوزوني عمك سراج، لا شفته، ولا اعرفه، كنت اسمع انه هلاس، وبتاع يوه، بتـاع كـلام فارغ، لكن قلت يمكن يتوب.

واتجوزته. اتجوزت سراج عشان الورشه. انا شفته مـن هنـا، ولهاليب قادت في جتتى، قطعت هدومي، وشعري، وكبيت جاز على نفسي، وصوتت ولميت الدنيا. لكن كان سهم الله نفذ.

أبويا قال: احنا ما عندناش طلاق.

خلاص يا صباح، امر الله نفد يابنتي. واهو عنده ورشه، وبكره تخلفي، وربنا يهديكي، وتعيشي عشان العيال.

صوتت، قلت له: يابا حرام عليك، دا زمر، أنااتجوز زمر، هو ده راجل، دا زى قصب زمر، دا مفهوش حاجه.

يومها وبعزم ما عنده، راح مديني حتة قلم، تولني، وقـال لـي: يابنت الفاجره، احنا عندنا بنات تقول كلام زي ده. دا راجل وبكـره نشوف بطنك قدامك قد البطيخه.

وسابني ومشي. ومن يومها، لحد ما مات ماشفتوش. خبو عليا. اخويا قاللي بعدها بشهر ابوكي مات. عشانك مشي يكلم نفسه، وقـع، ابوكي وقع. كنت عارفه إن اخواتي صغار، وانا الكبيره وجه عليـا الدور اشوف حالهم. وجه رامي، وجت ألفت في رجليه. رغـم أنـه صغير وزي النوايه. لكن ابن الكلب مفتري.

بُصي، شوفي الجرح اللي في رقبتى ده، عشان مـره رفضـت ضربني ببوز الجزمه، ومره مسك غطا الحله، ونزل علـي دمـاغى ضرب، ضرب. الله يخرب بيتك. الله يخرب بيتك يا زمـر. أتـاري المخفي، خسر الورشه في القمار من مده، وشغال فيها ومخبي عليا، لحسن اسيبه. اسيبه واروح فين؟ اتنين وامهم مين يشيل همهم. بعدها عزلت من البيت ، وفضلت من بيت لبيت وبقيت اشتغل معاه. اعمل له الجزم في البيت، وهو يقعد على الناصيه يصلح نعل، كعب، يـدق مسمار، كدا، طشاش، ماهو محدش بينام من غير عشا.

– يا سلام يا ولاد الدنيا دي على قد ما هيّا واسعه، صغيره، وبتلف، تلف، وترجع تدي الواحد على قد ما زرع. أنا بقى هجيت من ابويـا وطهقت من المدرسه ونسيت الدنيا كلها، عشانها.

– هيّا مين يا اخويا؟

– السيما.

– سيما. اسم النبى حارسك.

– آه والله يا زنّه. كنت غاوي وعايز ابقى زي فريد شوقى. شُفت كل أفلامه، هربت، سرقت، واتفرجت، ولفيت.

وأبويا، ياما ضربني وقاللي: عايز تبقى فريد شوقى يابن الكلب. آه يابا، هو مش بنى آدم زيي زيه.

يومها ضحك وقاللي: آه بس امه مش زي امك يابن الكلب. هو ابن ناس، وانت ابوك عربجي. وضربني بجلدة الحمار.

يومها كان فيه فيلم جديد في سيما عماد الدين، وعرفت إن فريد شوقى هيكون هناك. رحت وصدغي مشقوق، وقابلته، وقلت له: أنا بحبك يا سي فريد. وعايز اشتغل معاك.

قال بسخريه: تشتغل إيه يا بابا. روح مدرستك احسن. يومها رجعت زي اللي شاخخ على نفسه، والعيال زفوني في الشارع، وقعدو يضحكو عليا، كانو بيسموني شجيع السيما. ما انا قلت لهم اني قابلت فريد شوقى، وهاشتغل معاه.

أبويا ضحك وقال لي: يا شيخ اتلهي. روح دور لك على كتاب امسكه، ولا شد لك عربيه، ما انت بغل آهه.

ومن ساعتها مبقاش يقوللي غير روح يا بغل، تعال يا بغل. والعيال في الشارع سموني بغل السرجه.

طهقت، سبت الدنيا، وسيبت فريد، والسيما. ودورت الف في الشوارع ليل نهار، مره اشيل زباله، ومره ابيع جرايد، ومره واحده خدتنى عندها، أتاريها بنت الكلب نصابه، لبستنى بيه، وحطت لي

ريحه، واتحفلطت، وبقيت إيه، على سنجة عشره. واتجـوزتنى كـدا وكدا.

هربت منها، صحيح انا ممكن اعاكس، أشتم، أحيانا اسرق عشان آكل، لكن اشتغل ميس، بقرون... لأ. أعمل معصـيه. اسـتغفر الله العظيم.

– أنا حسنه حسان عبدالمحسن حسن، من جروان منوفيه.

وده ابو السعود ابن عمي، راجل ولا كل الرجاله. كان أبوه يطلع مع جده عبدالمحسن السوق، وينفخو المعيز. المعزه بعد ما تبقى ناشفه وعدمانه، تصبح بقدرة قادر، مليانه، وساعات كانوا يبيعوها على انها عشار. وجه ابن عمي زعل من ابوه وجده، وقال لهم: ده نصب، ده حرام.

ضحكو، وقالو له: بس يابن نفاخ المعيز، روح شـوف لـك معـزه اتجوزها. بس اوعى تكون مغشوشه.

واتجوزته.

وفضلت بلاد تشيلنا، وبلاد تحطنا. كنت فلاحه وصغيره ولسـه بحلاوتي. أول بيت سكنت فيه كنت عروسه.

جات صاحبة البيت خدتني الكوافير معاها.

وعرف، طلعني من الكوافير بحاجـب وحاجـب، وحلـف أن خرجت من غير إذن، لايبعتني البلد. كان يخرج الصبح، يروح قافل عليا بالقفل، ويحط الأكل والشرب: يا ابن عمي، حقك عليا: خـايف عليكي يا حسنه. البلد دي واعره، واحنا أغراب ملناش فيها أهل ولا سند. إحنا في غربه يا بنت عمي.

سكت. ويوم، وراه يوم، وراه يوم. خلفت العيـال. حسـن وراه نبويه، وراها سعد، ووراه بطه، وهو ما شالش القفل إلا لما العيـال ابتدت تكبر، وتخرج للشارع ويروحو المدرسه. واحنا كبرنا والحلاوه انطفت.

– ولا انطفت ولا حاجه. وإن دبلت الورده ريحتها فيها.

– الله يجبر بخاطرك يا علوه. ما انا بقول انتو اخـواتي، وعيـالكم عيالي. انا معتبراكم أهلي وحبايبي. واللي تشكه شوكه منكم، كإنها شكتني في قلبي.

– بس، بس الحفله ابتدت، بتعملي إيه يا زنه؟

– ها اغسل يا سي وحيد، مننـا وسـهرانين، اغسـل، وآدي انتـو مونسيني.

– والله فكره أما اقوم أنا كمان اغسل. يابت يا بطه، يـا عصـفوره، شوفو نبويه فين تيجي تساعدني.

– يعني انا اللي هاتفرج عليكم، أما اقوم انا كمان اجيب الحتتين اللي جوه واغسلهم زيكو يا بت يا ألفت.

– الصُرم ولع حالا.

حسنه جرجرت الطشت. وام رامي قرفصت على العتبه وسحبت الغسيل.

– جاتكم خيبه نسوان يعني هو الغسيل هـايحمض، اقعـدو اسـمعو وانسو الشغل شويه.

– يوه يا علوه طالما قاعدين وصاحيين، آدينا بنتسلي.

– الواد سعد ولع الولعه، والليله هتلعلع.

* * *

هو حد خاب خيبتي، ولا شاف اللي شفته.

حد يبيع الغالي بالرخيص؟ عشان إيه والله ما انا عارفه. هو كان عبط، ولا باينه كان عبط. خدتني خالتي لابنها. وخيروني عماتي، قالولي: تخدي ابن عمك؟ ولا ابن خالتك؟ قالت لهم اروح مصر. واتجوزنا. جابولي عماتي شيء وشويات. سرير نحاس بعواميد، ولحافين حرير أطلس خالص، وإيش، وإيش، ملولي الدنيا حاجات من اللي قلبك يحبها. حرير على رمش العين، هدوم، وهدوم، لو فضلت ألبس فيها العمر كله ماتخلصش. ومضوني وكتبوني. وجات عمتي بعد الفرح بجمعتين، وقالت لي: مبسوطه يا بنت اخويا. قلت لها: مبسوطه يا عمتي، ربنا ما يحرمنيش منكم، وازي عمتي صفيه، نفسي اشوفها، هيا عينها لسه تعباها؟

ضحكت عمتي ندا وقالت لي: عمتك صفيه خلاص نظرها راح، وما بقتش تقدر تمشي، وانا بايني كمان قربت احصلها. الدنيا قدامي عماله تفتح وتقفل، يالله بقى حسن الختام، فتك بعافيه يابنتي وخلي بالك من روحك ما اوصكيش، انتي فى بلد غريبه وكل شيء فيها صعب، وان غبت عليكي، أو طولت، متزعليش، ابقي تعالي انتي بقى، فتك بعافيه.

عنها وراحت عمتي ندا ماشيه، خدها ابن عمي، عرفت بعدها بشهرين ان عماتي جوزوه بنت خاله، وقعد معاهم في البيت، وان عمتي ندا رخره نظرها راح. وقعد ابن عمي ع البيت وع الغيط. وانا

فضلت سنين وسنين. ليام تجيبني، وليام توديني، لحد ما ف يوم لقيت عبده جوزي راجع من الشغل يجري.
مالك يا عبده؟

الحقي يا بت، عماتك، لتنين ماتو. همي، شهلي، نلحق الدفن، همي يا بت يا لوزه. رميت الجلابيه على جتتي وطرت، لقيت النعشين خارجين من الدار ورا بعض طايرين. والناس بتهلل وتكبر. (شهدنا لك ياختي، انتي وهيا شهدنا لك. ربو اليتيمه في دارهم، عيشهم كانت شبعانه بيه الكلاب).

أنا اليتيمه، رقوبة البيت، ربوني عماتي، صفيه وندا. خدمتهم، خدمة العبد للسيد، بعد ابويا ما راح في الفجريه وهو بيقص العنب بالمقص، الكهربا شدته. مات. امي حصلته على الاربعين، وفضلت عماتي، واحده منهم عاجزه، والتانيه شوفها على قدها. كبار، ما اتجوزوش رغم اللي حيلتهم. تاني سنه وفي نفس الميعاد، مات عمي بنفس الطريقه، وفات قرني. خدوه عماتي، وبقى اخويا. وبقينا اربعه في البيت اتنين يتم، واتنين عجزه. حلمت عمتي صفيه بجوازنا. وأمنت عمتي ندا عليها. بقو يقولولنا انتو اخوات. ومن ورانا يحلمو يجوزونا لبعض. مرت ليام وكبرت. وكبر قرني.

وجات خالتي في يوم لزيارتنا، جوزها من ابشواي، وهيا من طاميه، قالت: عايز اَخد بنت أختي لابني عويس. عايزه اوديها مصر واستتها. زعقت عمتي صفيه وقالت: وي وي وي. ندي أرضنا وعرضنا، لابن زاهيه يبرطع فيهم، واحنا اللي ربينا وكبرنا. احنا عاوزين نجوزها قرني ابن عمها.

صرخت فيها وقلت لها: لأ يـــا عمـــه. عـــايزه ازور الحســـين والسيدة.

ضحكت عمتي ندا وفهمت وقالت: خلاص يا صفيه يا ختي لوزه اختارت ابن خالتها، صحيح كنا عايزين نجوزها ابن اخونا. لكن هه، هيا وكيفها. احنا طول النهار والليل نقوللها: قرنـــي اخـــوكي. ازاي أخت تتجوز اخوها؟!

عمتي ندا ناصحه، عندها نظر. جهزونـــي، واتجـــوزت. تـــاني اسبوع كان ابن عمي خاطب بنت خاله. بعد الاربعين. قلت له: فـــين حقي.؟ ورثي في ابويا، ورثي في عماتى؟

ضحك قرني وقال: ... حقك خدتيه. ولولت: إمتى؟ كيف؟

طلع لى حجه كبيره، وورانـــي بصـــمتي. تنـــازل عـــن حقـــي ومستحقي. حقي في ابويا وعماتي. رجعت بقفة بلح وقفـــص عنـــب. لقيت الأمير جوزي قاعد م الشغل. وفضلت ابيع حاجه ورا حاجـــه. ومن أوضه لأوضه، لأوضه. لحد مارسيت هنا. شفتي يا حسنه، شفتو يا ولاد.

حد خاب خيبتي، ولا شاف اللي انا شفته.

* * *

يا اختي... خلي زكايب الهم مربوطه.

طب انا اقول إيه؟

وانا لا حيلتي ولا معايا. طلعوني من البيت يـــا مـــولاي كمـــا خلقتني. كنت متجوزه ابن عمي، هو مش ابن عمـــي قـــوي، مـــش عصب يعني، لكن كان قريبي من بعيد، واحنا عندنا أى قريب مـــن ناحية الأب يبقى عم. المهم، امه كانت قرشانه، وتلات اخوات بنات، اصغر واحده فيهم من دوري. طول النهار غسيل وطبـــيخ وهريـــه، وآخر الليل ما قدرش اتلم على جوزي، ولا نقفل علينا باب. لو قفلت تبقى يا داهيه دقي.

امه كانت تشرشحلى «بتقولي له إيه؟ بتصلتيه علينا ليـــه؟ انـــت عايزه منه إيه؟

اروح متقيه شرها وافتح الباب على اخره. وياما أيام كتير دخلت علينا امه واحنا...

هو يشقى ويتعب طول النهار بره، وانا اشقى واتعب طول النهار جوه، وآخر الليل ما نعرفش نتلم على بعض. تفضـــل هيـــا وبناتهـــا قاعدين زي قرد قطع في الأوضه، ولاتقوم ولاتخلي عندها دم، نبقى قاعدين انا وهو نسقط من النوم من التعب وهيا قاعده تحكي، كلمـــه من الشرق وكلمة من الغرب، المهم ماتسبناش الا لما تتأكد اننا رحنا في النوم خالص ومش قادرين، وساعات هيـــا اللـــي تغطينـــا قبـــل ماتخرج. ويا ويلي، لو لبست قميص نوم، ولا هدمه جديده، تبقى يـــا داهيه دقي، تدور تتغمز هيا وبناتها. وإن جيبنا نص كيلو لحمـــه، ولا

طبخنا حبة طبيخ، يا طلت اغمس لقمه، يا ماطلتش. ولما فاض بيـا الكيل، قلت له: نخرج، وآهي بلاد الله واسعه، ونعيش على قدنا.

يومها زغرلي وعملي فيها عنتر، وقاللي: واسيب امي واخواتي لمين، انتي ناسيه ان مالهمش حد غيري.

قلت له: نخرج، ونبعت لهم اللي فيه القسمه، وطل علـيهم، انـا مش حايشاك. بس اعرف اتلم عليك، ويبقى لينا باب نرده علينا. احس اني مَرَه وليا جوز.

قاللي: بس، بس، نامي بلاش خيبه. ما تقفلي الباب حد منعـك، وقام رايح مفرود، وخبط الباب برجله، راح كسره.

أوضه، وصاله، فيها سبع تنفار نايمين زي الفراخ، على بعض، امه وابوه وتلات بنات وانا وهو، تبقى دي عيشه. وكله كوم، واللـي حماتي كانت بتعمله كوم تانى!. طول النهار قاعده في الشارع هيـا وبناتها، تجر شكل دي، تلقح على دي، ما هي فاضيه، وعندها بنـات تتفات لها بلاد. كل يوم عاملين لهم غاره مع حد من الجيران. كـانو يمسكو الواحده من دول، يدوها العلقه، ولما تشتكيهم في القسم. كانت حماتى تروج فكه ربع جينه تعاريف، ورايحه علـى القسـم. تبكـي وتنهنه قدام الظابط.

وتقول له: شوف يا بيه، استلفتهم من كل بيت حبه. دانا غلبانه يا بيه، وبجري على ولايا.

تدفع الربع جنيه الغرامه من هنا، وتروح طالعه من هنا، وقبـل ما توصل البيت تكون دقت المَرَه اللي شكياها حتة دين علقه، تخليها تقول حقي برقبتي، ويمكن تسيب الحته وتعزل.

جوزها! كان لا حول له ولا قوه، غلبان، مش قدها، عارف انـه

لو فتح بقه بربع كلمه ياخد على دماغه. بيسرح طول النهار، بعربيه ترمس في الشوارع، وآخر الليل يتلم على جنب وينام. كانو عاملينــه فرخة البيت، يلموله اللي فايض منهم، لقمه ناشفه، حبة طبيخ بايــت، شوية رز فاضلين. مع إنه عمره، ما كان يدخل فاضي، كان دايمــن يجي حضانه مليان، إشي برتقان، على استفندي، على لب، هما ياكلو ويتشدقو، وهو يضحك، ومبسوط.

كان يصعب عليا، لما اشوفه بياكل وهو بيتصعب ويمصـــمص في شفايفه. بعد ما ياكل، يشرب له نفسين من السيجاره، ويحمد ربنا، وان طلب كوباية شاي، بيه!! تذله، تقوللـــه: ما تروح على القهـــوة، ولا نام وريح جتتك أحسن.

كانت هيا وبناتها ينامو على السرير، وهو يفرش جنب الحيطـــه في الزقر، وينام. وكانوا عاملين له طبق لوحده، ولا ياكلش معـــاهم، أصلهم كانوا بيقرفو منه، ومسمينه أبو رياله. أصله كان دايمن حاطط مضغه ف بقه، بتاعه كده كان يشتريها من البقال ويفضل يمضغ فيها.

هو صحيح كان يقرف، بس ربكم والحق، كان بيصـــعب عليـــا قوي، لما كنت اشوف الدمعه تفر من عينيه، ويمسحها بكـــم جلبيتـــه وهو ساكت.

حماتي كانت مفتريه، وبناتها أكتر، وماكنتش اطيق اشوف اللـــي بيحصل ده. ومره عيي عيا جامد، تنه عليان بيه لحد ما مـــات. مـــا كنش بيشتكي من حاجه، أكتر من انه دايمن نايم، وكان بيعملها على نفسه زي العيال الصغيره. كنت فارشاله خيشه وحاطـــه مشـــمع زي العيال. كنت اشيله، واقومه، وأكله بإيدي، واغير له الفرشه والهدوم.

وهيا قاعده زي الباشا، تقوللي اعملي وسوي.

ومرة عييت، جامد، بايني من كتر القرف، بطني وجعتني قوي، ورفضت الأكل لحمد ما اصفيت، ما هو بقى يعمل التقيله رخره على نفسه، كان خلاص برك وحط.

وجت في يوم تغير له، لما انا رقدت، واسمعها يا اولاد بتضربه بالشبشب، وفين يوجعك على طيزه، وتقولـــه: مش عيب عليك راجل شايب وعايب، وتعملها على نفسك زي العيال.

انا سمعت كده، الضرب حز في قلبى، والدمعه فرت من عينيـــا، قمت جريت من ع السرير، وخدته في حضـــنى، وقعـــدت اطبطـــب عليه، وابوس في راسه، واقول له: حقك عليا يابا، ماتزعلش، انا اللي غلطانه، امسحها فيا انا، والله بعد النهارده ما هاسيبك أبدا، أنا اللـــي هاشيلك، واحطك، واغير لك، انشالله اكون باموت. وفضلت وخـــداه على صدري. وهو يعيط. وانا اعيط.

ليلتها ياولاد لا نمت، ولاهوب النوم من عيني. وســـاعة الفجـــر فضلت ادعي له واقول: يارب والنبى ياتشفيه، يا تاخده وتريحه مـــن العذاب اللى هو فيه. دا حرام، حرام والله العظيم، وراحت عيني فـــي النوم، إلا وشفت، خير الله اما اجعله خير، سيدي، أبو ابويا، ما هـــو كان يبقى عم حمايا لزم. شفته واخد حمايا بالحضن، وقعد يبوس فيه، وراح ضمه لصدره، وواخده بين درعاته، وقام ماشي.

وانا انده، وأقول له: رايح على فين يا سيدي، فايتنا ورايح فـــين يابا. وفضلت اصرخ واعيط واجري وراهم زي المجنونه. لحد مـــا اتفلقت من العياط.

لقيت عبيد بيزقنى ويقول لي: قومي يا بت، مالـــك. اتشـــاهدت، وطلعت اجري على الصاله زي المجنونه. وبصيت على عمي، لقيت

سر الإله طلع، فضلت اصوت، واصرخ، لحد ما كل اللي في البيت صحيو على صريخي. واقول: يا حبيبي يابا. لغاية لما حسي اتحاش، واترميت ع الأرض، ورحت ف دنيا غير الدنيا.

ساعات كنت اسأل نفسي واقول: يا ترى لما نكبر هاعمل في جوزي كدا، النار تقيد في جتتي. واخرج على بره هاجه، وافضل اسح من عينيا. ربكم والحق البيت فضي علينا، الراجل كان ماليه، كان له هله. كان طول بعرض، وبقيت مش طايقه البيت ولا اللي فيه، وكل ما افتكر، نفسي تغم عليا. ومره نفسي هفتني على رنجه، اتاريني كنت باتوحم وما عرفتش، عبيطه بقى، أول مره، وكنت محوشه قرش ومخبياه، ورحت عند ابو شراقى وجبت منه رنجايه، وشويتها، وقعدت أكل. لو انتو كنتو دقتوها، يبقى انا دقتها.

وتيجى بنت الكلب من ورايا، وتروح لاويه شعري على إيدها وبالشبشب وفين يوجعك. يومها فرجت عليا أمة لا إله إلا الله. وفضلت تشتم، وتدعي، وقالت: ان انا سرقتها، سرقت منها بريزه. مع ان القرش ده محوشاه من المليم، كنت كل ما مسك جلابيه عبيد، واجى اغسل ألاقى في جيبه مليم، نكله، كنت احوشها. ولما جه ولقاني عينيا زى كاسات الدم، وشعري متبهدل، وقلت له.

قام ربنا مقدره على الطيب، وقاللي: ماانتي اللي غلطانه، ليه ما اديتيهاش القرش، واتقيتتى شرها، وقلتيلى انك نفسك ف الرنجه، وانا اجيب لك بدل الكيلو، اتنين.

صرخت فيه وقلت له: يا انا، يا امك. قعادي معاك كوم، ومع امك كوم تاني. اختار، يا انا يا هيا. غضبت، شهر ورا شهر، إن يسأل، ولا يقول ليا مَرَه، أبداً. وجبت محمد، وجه يزورني، قلت له

تاني: نعزل ونشوف سكن لوحدنا، نبقى على حريتنا، ونربي عيالنا.

قاللي: هيا دي عيشتي، عاجبك!

سيبته وخد مني الواد، وسنه وراها سنه، لما جيت اتجوز غيره، راحو باعتين لي الولد، وقالولي: خدي ربيه.

واديني محتاسه. وجيبت امي من البلد، بعد ابويـا مـا مـات، وأجرت لها أوضه، كات بتقعد بشويه حلويات قدام مدرسـة شـجرة مريم، لكن امي كبرت، والمصاريف كترت عليا، والدنيا غلا، أعمل ايه. قعدت افكر جوزي مش راضي يصرف على امي والواد، ومش معقول ارميهم. اشتغلت، الشغل مش عيب، بـاطلع مـن طلعتهـا، لغطستها، نزلت مصر الجديده، واديني بالقط رزقي، اغسل عند دي، انفض الشقه لدي.

المخفي جوزي لما عرف اني باشتغل، وباجيـب قـرش، راح قاعد، وبطل يروح محل العصير اللي واقف فيه. وبلطج على قفايا.

تقدرو تقولو لي عملت ايه؟. قعدت، وشغلت الواد محمـد فـي ورشة نجاره، لكن مصروف الواد ما قضاش، رجعت الشغل تـاني، وقلت له: طلقني. عيب لما اجري عليك وانت شحط.

سابني، رحت جايبه امي والواد وقعدو معايـا. إيـه، واديني عايشه.

* * *

طب انتي بتقولي كده، أمال اني راح أقول إيه؟

الهم في الدنيا مفرق، قطعت الرجاله، وقطعت سيرتها. طب انتو عارفين علوه جوزي ده، اللي قاعد هناك، عمال يحشش، ويشد في الجوزه، وعامل ابو عرام.ده يبقى ابن خالتي بجد، وفي نفس الوقت ابن عمي، انا اكبر منه بكتير. انا من دور اخوه سعد الله، الله يرحمه، وكنا مخطوبين، وكان فرحنا قرب. وانا كنت حيلة ابوي، ومدلعني ع الآخر، أصله كان مبسوط وكان نزهي، صحيح انا وحشه لكن فلوس ابويا، خلت ابن عمي يطلب إيدي، ويتجوزني.

وفي يوم من ذات الأيام، قبل الفرح بيومين، يعني كان صابح الحنه، وكنا الضهر، آه والله فكراه زي ما يكون دلوقتي. وسعد كان جي لنا، وهو ماشي إتفاجئ بديب، ديب كبير طالع عليه من وسط القصب، راح سعد مطلع مطوه حاميه من جيبه وفضل، يلف والديب يلف وراه وعلى غفله راح شاطط رقبته وقاطع ديله، وجايبه وجاي.

امي فضلت تزغرط، تزغرط.

راح ابويا خارج البندقيه بتاعته، ونازل طاخ طيخ، ابن اخويا جاب الديب من ديله، ابن اخويا جاب الديب من ديله. الدنيا هاصت والبلد اتلمت، والطلق اشتغل وهات يا ضرب، وفجأ سعد الله وقع، وقع سايح في دمه. مات. شيلت النيله، وطفيت الشمع، وصبغت هدوم العرس، وفضلت على الحال ده كتير، عشرين سنه، لحد ما مرات عمي ولدت علوه وكبر، وأول ما بقى عمره ستاشر سنه جوزوهوني،

كان ابويا مات، وامي فضلت تتجوز، اخواتـــه ده ورا ده، لحـــد مـــا اتجوزت اربعه، وكل واحد خلفت منه أورطة بنات. ولما جات مرات عمي، تجوز ابنها علوه، قالت آخد واحده من بنات خيتي، اخف عنها الحمل. عمي صدرني ليها، وقال لها، بخيته كبرت، ومـــا حـــد راح يتجوزها، اللحم يلزم اصحابه، وانا هديها كل ورثها من أبوها. الطمع عمى عين ابن خالتي وخدني، لكن ربكم والحق خـــالتي مـــا كانـــت راضيه، أمال هيا شيلاني على راسها وزاعقه ليه. لكن باقول إيـــه، القسمه والنصيب. ومن يوم ما علوه خسر الفرن في لعب القمار وهو لا على حامي وعلى بارد، وكل يوم، يرزعني العلقه، وبدي اطفـــش منه، لكن البنتين ذنبهم إيه. وهو نفسه يرميني للكلاب من الصبح.

* * *

كان يوم عيد اللي شفتكم متجمعين.

- سالخير يا ولاد.
- خير عليكي يا خالتي ام عكاشه، فينك يا وليه، بقالك مده مش باينه ليه؟
- كنت عند ام هاشم ياولاد، خدو بركة الست.
- إيه دا فول نابت. تعيشي وتفتكري، نظره ومدد يا ست.
- هو المولد جه.
- أيوه يا ولاد.
- مش كنتي تقولي يا خالتي كنا روحنا معاكي.
- يو..ه يا زنه يا بنتي دا يوم من السنه للسنه.
- ايه كنتي بتشحتي يا خاله؟
- أشحت ايه يا نبويه يابنتي، ودي كلمه برضه تقوليها. أنا عمري ما مديت ايدي إلا اللي خلقني. أبداً نبت شويه فول، وقلت حـلاوة ام هاشم، وجبت لكم حبه، وقلت ادعي ربنا يرجع الغايب.
- ياخالتي دا انتي وراكي رجاله يسدو عين الشمس، وهمـا يـدورو ويسألو. انتي وليه كباره، وكفياكي شقا.
- كان يوم عيد يا زنه، كان يوم عيد، هو فيه حد بيسأل على حد. انا كدا حلوه لا اميل على حد، ولاحد يتضرر مني. وحياتكم يا ولاد انا لما احب ازورهم، باخد غدايا معايا. خلاص خدت على كدا من يوم ابوهم ما مات، قولي يا عبني يا حيلي، مـا يمسـحش دمعتـك إلا

إيدك. اتهجلت عليهم بدري، كبرت، وربيتهم، وعلمتهم، وربك اللي ببرزق. لكن مش حاشش ضهري، وهاموت ناقصه عمر، قبل مـــا اشوفه، إلا مهدي، ابني، أصغرهم، أبوهم مات وهو لسه صـــغير، علمتهم كلهم، لكن هو شد في العلام قوي. ولمـــا خلـــص خـــدوه الجيش، وآهو من يومها لا حس ولا خبر. ماحدش قـــادر يـــدلني. ناس يقولو تلاقيه راح حرب اليمن. وناس تقول دا لسه جديد وبكره ييجي، وآهو شهر ورا شهر، والعمر بيجري وانا مش قادره، نفسي اشوفه قبل ما اموت. أعرف إن كان عـــايش ولا ميـــت. هـــاموت بحسرتك يا ولدي. قولت اعمل شـــويه نابـــت، وازور الســـت ام العواجز، وامسح ضريحها بطرحتي، واطلب وادعي، ربنا يرجعه لي سالم، غانم، يارب شالله يام ام العواجز يا طاهره، يردك ليا يـــا ولدي، انت وكل اللي زيك، ولا يسونيش فيك ربنا، ولا اشوفش يوم فيك يزعلني. رحت للكبار واحد واحد. اللي يقول اصبري، واللـــي يقول معرفش، واللي يرد الباب في وشي. قالوا اكتبـــي للـــريس، خليت ابني الكبير كتب له جواب، وحلفته بالعزيز الغالي، قلت له: يا ابو خالد، يا حبيبي، انا وليَّه هجاله. وربيته بنن العـــين، وســـهر الليالي، وخلاص قربت اموت، يهون عليك اموت قبل ما اشـــوفه، يهون عليك يا ريس.

– ربنا يصبرك.

– هاقول إيه يا ولاد، فردت حجري لكل اللي يديه لي. عوضي عليك يارب، عوضي في تعبي وشقايا وسهر الليالي. ياضنايا يا ابني، يا حبيب امك يا ولدي. مهدي، يا مهدي، فين أراضيك، ولا فين قبرك وانا ازوره.

– ياحبيبتي يا اختي، الوليَّه هاتتجنن على ابنها، يا ولاد.
– أمال إيه يا ام رامي، ربنا مايكتبها على عدو ولا على حبيب، هو بيولع القلب قدهم، خصوصا الغايب.

****

....

– عاجبك كدا زنّة الكلب، آهي هتبات تجعر، طول الليل، ومش هنام منها يعني كان لازم تسأليهان دايمن عامله زي الغــراب تنكشــي وتدوري على النكد.

– يووه يا علوه، يعني انا كان قصدي، كان بدي اتطمن عليها، ما هو الهم في الدنيا مفرق، والبيوت قافله على بلاوي.

– جرى إيه يا مره، اتلمي وقولي يا مسا، لحسن اقوم امسيكي.

– ياخويا جاك هم، ماوراكش غير يا مَرَه، يا مَرَه.

– بتقولي إيه يا بنت المركوب.

– ولا حاجه يا خويا، ولا حاجه. ياللا نقوم ننام.

– ياللا يا ولاد تصبحو على خير، ياللا يا واد يا حسن لــم اخواتــك وياللا. تصبحو على خير، الحفله شطبت، والنهار قرب يطلع.

– وانتي من أهله يا حسنه، ياللا بنا احنا كمان يا ولاد. يا رامي يــا ألفت، زمان ابوكم راجع، ولو لقاكم لسه صاحين هايطين عشــيتنا، حاكم هو راخر نكدى.

– ياللا يا رامي، ياللا يا أوفه، قبل لما تقلب بغم. تصبحي على خير يا زنه، ياللا يا اختي لمي العيال وخشي، واخزي الشيطان وبلاش تقفى له ع الواحده، إبقي فوتي. بلاش تعملــو لــبعض زي نــاقر ونقير.

– يا اختي، جاته داهيه فيه وفي امه، هو اللي قارش ملحتي، ما انتي

خابره البير وغطاه، بيتلكك ابن سعده، تلاقيها قاعده جنب الســـيده، تبكي، تشكي. جاتهم الهم، عيله غم.

– على العموم يا اختي ما تديهومش فرصه، تصبحي على خير.

– وانتي من أهله يا ام رامي. الحقي، الحقي يا صباح جوزك بـــوز الغراب وصل.

* * *

....

زمر، كركر، فرويكا.

طبل، طبل، مزيكا.

حتة راجل انتيكا.

– شوفي يا اختي الراجل كإنه حاوي، وطلع العيال من الشقوق. بقى يا راجل لامم الصغار ومضحكهم عليك. تعالى يا امه شوفي اللـــي انا فيه. الراجل الشايب، العايب، عامل ضهره قنطره. والعيال تنط من عليه.

– إتلمي يا مره، وقولي يا مسا، العيال أحباب الله.

– يا راجل اعمل لك هيبه وسطيهم، مش تأخدهم عليك.

– يامره يأم مخ ضلم، ساعه لقلبك، وساعه لربك.

– ولما بتنزل فيهم دق، وتضرب العيل مطرح ما تطلع روحه، يبقى حلو؟

– كدا يا صباح، قلبتي مزاجي. طب روحي، روحي، شـــوفي بـــدر المجنونه قاعده فين واقعدي ريحها. قولو يا ولاد قولو.

زمر، كركر، فرويكا.

طبل، طبل، مزيكا.

حتة راجل انتيكا.

* * *

....

أنا حسي غني وقوي، انا حسي عفي وعفيتي من النار.

انا في حيرتي إلى يوم الممات، ومن الدار للنار.

راح الجدع، آه يا وجع...

آه يا ذل القهر والمقهورين، والذل له أسرار.

آه يا زمن يا ابو البدع، لما الشايب والجدع يقعو ف غرام بنت عطيه، واكله ناسها، وقالعه راسها، ونفسها تترمي في حضن حـد حـالق راسه وعادم ناسه، زي ما كنت الأم بتدعي وتطلـب ورب العبـاد يسجل في دفاتره الكبيره. كنت ساعتها، يدوب الفستان ابتدي يترفع من ع الصدر والبزاز تبز، والعود بيتدور.

إيه الحلاوه دي يا بت؟ إيه النار دي يا دلع؟

إيه اللى صابني لما شفتك وانتي بتعدي. رايح جاي، رايـح جـاي، عيني منك يا راكب العجله، وفي حبك لا بيع المكنه.

– آهين وآه يا بت، آهين وآه ياعين، آهين وآه على الغمازات اللـي في الخد تنغز وتبان، والسن يضحك.

وجلابيته مكويه وإيديه نضيفه، بياضه يشق ينـور فـي الضـلمه. ساعتها بس، حسيت انا اليتيمه، بنت الناس الطيبين، ورقوبة البيت، حياتي بتنور وتنجلي، وفي ليله من الليالى جه ودخل، فتح البـاب، شفت النور. كإن السما والأرض كانو طابقين على الصدر. دلوقتي بس حسيت إني ممكن اشوف ام الدنيا مصر. يا عنبي يا عنابي يـا

فيومي وبلدي، لكتب عليه ويبقى حلالي. وكانت الدنيا، والدوخـــه، والأوضه الحق، والشباك المقفول، والبـــاب المتـــوارب، والعيـــال يتسرسبو عيل ورا التاني، وافضل انا كدا، وحيده، باستنى لحظة ما يرجع ويدق الباب. كداب يا باب، كدابين يا خلق، المـــوت لا خـــد مني الواد، ولا خد مني البت، الموت لا خد الأهل ولا خد الراجل، الراجل راجع، مسيره ييجى من الشغل.

هو قال: « يابدر، يا بداره، يانور عيني. إوعى تفتحي البـــاب، الناس غيلان بره، وانتي غلبانه لا تعرفه تسدحي، ولا تعرفي تقدحي، خليكي مستنيه، وانا في العشه راح اجيب الوكل، ونساهر يـــا بـــت. إوعاكي يا بدر إوعي الغرور ياخدك وتفتحي لحد، ولا الباب يشوف طولك، كل اللى تعوزيه يا بت أجيبه لك. بس اسمعي الكلام واتداري، إياك يابت إياكي.

إياك انت يا حبيب القلب، وساكن النني تغيب عني، وتحرمنـي مـن إني اتملي بنورك واشوفك جنبي. الجواز ستر وغطا، والست الحره ما يبـان ضـلها بره إياك تحزن أو تخاف، خليك في شغلك صـاحي، النـاس تنـام وانـت عـين المولى عليك حارس، واللي يختشي من بنت عمه مـا يجـبش منهـا عيـال. وانـا حاميـاك، وحاميـه عرضـك، وعـلى الـود والعهـد باقيـه، وروح الشـغل، وماتحملش هم. الناس للناس، والجيران لبعضـيها، وانـا نـفسي هفتنـي عـلى الحلاوه السمسيه، والليله مولد المطراوي رايحه آخد، أي ولد من عيال حسنه وازوره، واحط اللي فيه النصيب وادعي له: والنبـي يـا سـيدي المطـراوي انـا سايقه عليك حبيبك النبي، تفك ضيقتي، تجعل بطني تعمر، والشهور تكمل،

وينزل العيل، وتخليه، وطول لنا في عمره وانا عهد عليا ما اخطي البلد، ولا ادخلها برجلي طول ما العيل صغير، انا خلاص عرفت ان العين فلقت الحجر، وان عيالي زي القمر منورين، وانهم ولاد موت، يارب ارزقني بعيل ولو يكن عبيط، آهم يقول خلفت والعيل عاش، ونذرن عليا والنذر يوفي الدين أطاهر العيل على بابك وامد إيدي واملس على شباكك، واحط على راسه، وان خليته، لا جيب فردة حلق واحطه في ودنه، ويوم الطهاره ارميها في صندوقك. واشحت سبع قروش بيض مخرومين، من سبع محمدات، والبسه لبس بنات. ولا اعمل سبوع، ولا أبهرج ، وافرق يادوب بلح، وان ماكنتش عايز بلاش، هفرق رز بالبن." بس خليه لي يفتح عيني ع الدنيا" .

دانا وحدانيه، وجوزي وحداني، والأهل راحو، وماشفتهمش، واللي ربوني اخوالي، نفسي ف قريب من دمي، ومن لحمي، ويفرّح قلبي. آه بطني انتفخت وولدت، وجه الولد وعاش، بس الراجل راح الشغل زي كل ليله ومن ساعتها لحد دلوقتى ما رجعش، حد يقدر يقوللي راح فين، حد يقدر يقوللي مارجعش ليه، يكون زعل، أو خد على خاطره، أو حد وقع ما بينا. لأ... لأ مستحيل يغيب كل ده، هو راجع.

إرجع بقى.

* * *

الجميله نواره البيت، ناكشه شعرها وقاعده على العتبــه، جنــب الحيط عماله تغزل في الهوا، وتفك، وتنده على جوزها، اللي غــرق، في الصيف، عند معديه عثمان ومارجعش.

كان هو وسبعه اصحابه من العمال، رايحين وردية الليل، وكانت الدنيا قمره، لأ كان القمر غايب، والمراكبي عمال يغط في النوم.

ندهو عليه: يا حسن يا مراكبي، قرب يــا واد وهــات المعديــه وتعالي ع الشط، الدنيا ليل، والقمر مش طالع، مش شايفين، وميعــاد الشغل قفز الريس صعب وكشر، ووشه يقطع الخميره م البيت. وكل ما يشوف واحد منا غايب يخصم له يوم، واتنين قرب يــا واد هــات ايدك يا حسن، هات ايدك يا ابوعلى. هيا الدنيا برد كدا ليــه، الــدنيا كحل، ترعة الإسماعيليه ساكته وهاديه ومكنونه. ما تولع يا واد شعله ولا حتى عود كبريت.

إلحق يا واد، المركبه بتميل، إلحق يا واد المركبه بتغطس، إلحق يا واد المركبه بتغرق! إلحق يا واد رحنا خلاص.

وراحو السبع جدعان في نوبه واحده. من يومها والغلبانه قاعده قدام الباب. بتستني ومش قادره تصدق إن الحبيــب راح، ان النــور انطفي، والليل بيليل، والنهار بيضيع. ياحبة القلب يا بداره.

– اسمعي يا حسنه احنا لازم نساعدها ونرجعها لأهلها،

– اسكت يا ابو سعد الله لا يغلب لك وليه. ترجع فين ولا تروح فين،

هيا يا ولداه ليها حد.

- ليها ربنا يا وليه، اللي ما أحسن منه حد.
- دي يتيمه، ومقطوعه من شجره، والحتة العيل اللـــي عـــاش لهـــا عبيط. ما بيعرفشي الفره من التره، ولا السما من العمى، وطـــول النهار العيال حاطينه جوه قفص وعمالين يجروه في الشارع.
- يا حول الله يارب. ليها رب اسمه الكريم. خلي بالك منها. واوعي تخلي زنه ولا حد من العيال يزعلها. وابقي حني عليها باللي يجود عليكي بيه ربنا. وياريت تحاولي تفهميها بالراحه إنها بتغزل فـــي الهواء، واللي راح راح. انا رايح الشغل، تصبحي على خير.
- روح يا اخويا يكفيك شر اللي في الغيب، وشـــر اللـــي متـــدارى، وكيفيك شر اللي ماتطيق شره.

* * *

ياللا يا ولاد الضهر إدن. ياللاّ المدرسه.

ونادو على اخواتكم سعد وبطه وولاد زنه، ياللا يا ألفت، ياللاّ يا رامي. وانتي يابت، إمسكي أخوكي في إيــدك، وخلــي بالــك مــن العربيات وبصو كدا، وبصوا كدا، وانتو بتعدو. خد يا حبيبي قــرش آهه. هات حاجه حلوه، وادي اختك تعريفه، وبلاش البمــب ده، ولا العجل، وانتي بلاش مراجيح، لحسن تقعي، وتتكسر رقبتك، مفهوم.

– حاضر. حاضر يا امه.

شاطر يا حبيبي. يجعلك حاضر، ما يجعلكش غايــب أبــداً. يــا سلام، انتو حياتي، وعيني اللي باشوف بها.

– ماما... ماما.

– إيه يا مقصوفة الرقبه.

– إنتي صحيح هاتجيبي أخ تانى.

– يعني إيه يا بت.

– يعني هاتجيبي نونو.

– آه، مين اللي قالك؟

– خالتي، حسنه كانت بتقول لخالتي زنه، إن شهرك في العيد. وإنك سابقه زنه بأسبوع. راحت خالتي زنه ضاحكت، وقالت لهــا، هــو انتي يا حسنه حاسبه لكل واحده، قالت لها: آه حاسبه، انا بحســب لكل واحده، وانتي هتولدي بعد العيد.

– يامقصوفة الرقبه، وانتي إيه حشرك، وسط النسوان، يا بنت سراج.

آه يا صنّاته، عاده وحشه دي قوي يا أوفه، اسمعي يـا حبيبتـي، البنت الحلوه، اللي بتروح مدارس ما تقعدش مع ستات متجـوزين، واحده تقول كلمه كدا، ولا كدا، يقولو بنت صباح صنّاته؟ عيب يـا ماما. البنات الحلوين ما يقعدوش مع الكبار. ولا يشتمو، ولا يلعبو مع الصبيان، ولا يضحكو، يبتسمو بس. لو جدك كان عايش، كـان قطع رقبتك، دا أمك مره واحده ضحكت، لماعرفت إنها هتتجـوز ابوكي، وقالت عليه زمر. جدك ضربها قلم، لسه يابنت الكلب سخن لحد دلوقتي، ووداني بتوش منه.

– ياماما. جدي دا كان زمان. احنا دلوقتي في آخر سـته وسـتين. وبعدين ولاد حسنه، وولاد زنه بيلعبو سوا، بيطلعو فوق السـطح، ويلعبو عروسه وعريس، أنا شفتهم. وكمان شفت ابنك بيبوس بطه.

– يابنت الوسخه. إيش عرفك يا بت.

– واد يا رامي غور، روح انت المدرسه وسيب لي بنت الكلـب دي اربيها. تعالي. تعالي يا مقصوفة الرقبه.

– آه يا امه شعري، شعري، حرام عليكي.

– اسمعي، رامي ولد، يعمل كل حاجه على مزاجه. هما عيالهم فُجر، أوساخ، إنما انتي لأ. لازم تبعدي عنهم، سامعه.

– حاضر، حاضر، بس سيبي شعري.

– يابنت الوسخه، من النهارده ما فيش شارع. مـا فـيش خـروج. مافيش لعب، من المدرسه للبيت، ومن البيت للمدرسه. رجلك على رجل اخوكي. وشيلي القُصه دي من على عنيكي.

– حاضر، حاضر.

– وبعدين صدرك ملا، والواد سعد بصباص، إوعي اشـــوفك واقفـــه معاه أو تكلميه، ولا تروحي هناك. سامعه. يا خساره مـــاطلعتيش لامك. طلعتي هبله وعبيطه. يا بت انا نفسي اخليكي، احسن مـــن امك، حظك ما بيقاش زي حظها، راجل نكدي، وخلفته تسد النفس. نفسي تاخدي واحد موظف، تبقي حلوه، وهدومك نضيفه، وتـــاكلي لقمه حلوه، وفرشه حلوه، مش تنامي بجلابية البيت، وتقومي فـــي نصاص الليالى، تتكفي، وانتي مع جوزك تبقي مسكوفه وتتدارى م العيال بستاره، يا بت افهمي، دا امك شاطره، وناصحه، بـــس يـــا خساره، قلة البخت، الله يسامحه جدك، جوزني الورشـــه، وفضـــل ابوكي.

يابت حسي بيا، وخلي عندك دم. البيت النضيف يحـــوي ســـكان نضيفه، والبيت الوسخ، يلم سكان من كـــل اشـــي إن كـــان، فـــران، وصياد، وخدامه، وآخر الليل يبصو على بعض من شـــقوق الحـــيط. انت فاكره خالتك زنه كدابه، ابدا دي بتتكلم صح، بس انا اللى بداري، ياما عمك علوه ده، جري ورايا لحد الكبنيه في الضلمه، وانا أزقـــه: بلاش فضايح يا راجل اختشي لامراتك تسمع.

– مراتي دي يا صباح رتل جاز يخلصني منها، بس انتي قـــولي آه، دانا مخليها عشان خاطر العيال، آهي تخدمهم، جاتها القرف فيهـــا وفيهم. دي زنه، عارفه يعني إيه؟ زنانه.

– بس يا اخويا عيب، أنت ... وانا ...، وبعدين جوزي شرّاني، وهو صحيح يقرف اكتر من مراتك، بس انا مابصش لحد تـــاني، آهـــو مكفيني، وساترني، واهي ايام بنقضيها يا اخويا والبركه في الولاد،

بكره يكبرو، ويعيشو أيامهم، إحنا أيامنا راحت.

- ياصباح انتي حلوه، وتتجوزي سيد سيده، انا اتجوزك، وتخلصي منه ومن قرفه، وبعدين دا سكرى، وقليل الأدب، وغلاط وفقري.
- يالهوي، إوعى اسمع منك كدا تاني. وآخرمره تقف في طريقي يا ابن الناس. انت من سكه وانا من سكه.
- شفتي يا بنت الحماره. لكن الصراحه من يومها ماهوبش ناحيتي. فاهمه يابنت العبيطه، الرك على الواحده، وانت كبرتي وبلاش تنطيط، ولا اروح لخالك، واخليه يخرب بيتك.
- خلاص يا امه خلاص. انا سايقه عليكي العدرا بلاش خالي.
- خالك واعر زي ابوه، وبعدين اوعي تنسي خطبك لابنه طارق.
- يالهوي.
- ايوه يا بت طارق في المدرسه. وهيتعلم، وناصح، وطول عمره الأول، مش زى اخوكي الخايب ابو بطه.
- يا امه، اخويا اصغر مني. وابن خالي قده.
- آه لكن ناصح، فالح. إوعي من سكتي اوعي، وإياك اشوفك مع ولاد حسنه تاني. فاهمه. قال حسنه قال. إوعي يا بنت العميا حد يكون ضحك عليكي ولا باسك.
- لأ.. لأ.
- مالك يابت سهمتي.
- لأ يا امه مافيش. بس انا شفت عمي وحيد مع نبويه.
- إمتى يابت؟
- كتير، كتير. كنت راجعه من المدرسه. وما فيش حد فى البيت.

اشوفها واقفه معاه جوه الأوضه، يشدها ويروح قافل الباب واسمع ضحك، واخاف واجري على بره.

- وبعدين.
- وبعدين خلاص.
- خلاص مين، خلصت روحك. احنا مالناش قعاد هنا ابدا، البيت لم، وبقى يخوف.

يا حسنه. يا بت يا غلبانه. يا عيني عليكي يا اختي السوس في بيتك وانتي بعيد، يا حسنه يا عبيطه. يا بت.

- إيه، إيه يا صباح. مالك.
- تعالي ادخلي يا اختي. تعالي يا غفلانه.
- يا امه بلاش فضايح.
- فضايح إيه، ياللي تتفضحي على كلب اعمى، اسكتي. امشي اطلعي بره، امشي وردي الباب. ردي يا جلابة المصايب.
- اسمعي يا حسنه، اسمعي يا اختي. إن كنتو ، انتو فلاحين مابتغيروش على دمكم. احنا صعايده، ودمنا حامي.
- صعايده إيه، ولحم إيه؟ فهميني.
- بنتك نبويه.
- مالها.

الواد وحيد، السهتان، ابن العربجي، ابوسيما غاويها.

- ايه؟
- البت ألفت، شافتهم بعينها.
- بس، بس. قولي كلام غير ده.

– لمي لحمك يا حسنه، قبل ما يعفن.

– يعفن ايه يا ام رامي. مجّدي سيدك يا اختي.

– قدوس اسمه. وحيد مماشي مع بنتك. وانا قلت لك، وقبل الفاس ما تقع في الراس، ونرجع نقول يا ريت اللي جرى ماكان. قصري لها شويه، لميها.

– يالهوي دا كلام كبير قوي. ودي صغيره.

– صغيره، بنت تلاتاشر سنه صغيره، يا حسنه ليه مـــا حاضـــتش. جوزيها يا اختي، ستريها. ولا اقولك هاتي ام سعودي الدايه، ولمي عيالك وعيال زنه وطاهريهم. البنات هاجت.

– أروح فين بس، وآجي منين. ادور على مكان تاني. يا لهوي.

* * *

كان فين متداري يا خرابي.

– سالخير يا حسنه. مالك.
– ياخرابي، يا خرابي يا ابوسعد. يا خراب بيتك يا حسنه. دي آخرة تعبك، وشقاكي.
– مالك يا وليه، عمرك ما ولولتي كدا!
– بنتك يا اخويا. الفاجره، القادره.
– مين؟
– نبويه، الفحله، هو فيه غيرها؟ أم عين باكسه. ديك النهار شخطت فيا، وضربتني، وبهدلتني، وخلت اللي ما يشترى يتفرج؟
– وسكتي لها يا مَرَه؟
– لأ، وحياتك. مسكتها، عجنتها. وقبل كده علوه، جوز زنه، قاللي: يا حسنه بنتك بتروح الفرن كتير، لميها.

قلت له: اسكت ياعلوه والنبي، بلاش كلام فارغ، البت صغيره وبلاش سمعه وحشه.

قاللي: انتي حره. والنهاردا ام رامي مرات زمر، قالت لي: أنها ماشيه مع وحيد، بنتها شافتهم، في الأوضه.

– يا بوز النحس، ألفت دي، خباصه، ونقالة كلام، تلاقي امها كانت هتضربها، اخترعت الكلام ده عشان تسيبها. فين العيش يا وزه، سيبك انتي النهاردا منوره، وعيني عليكي بارده، وانا راجع بدري مخصوص، عارف انك قاعده لوحدك، والعيال بره. شوفي يا وليه، شوفي جايب معايا فول وبصل اخضر، وطعميه سخنه، ياللا ناكل.

– يا راجل هو انت كدا بارد، زي الميه الساقعه مافيش مروه، فعلـــن ماكدبتش صباح لما قالت: انتو يا فلاحين دمكو بارد.

– بارد في عينيها مره ما تختشيش صحيح، اسم الله هيا اللي شـــريفه وطاهره، والعدرا بتلمس على راسها. هيا تقول بنتك مـــع وحيـــد، وزنه تقول جوزها بيبص عليكي. والله عال، وانا نايم على وداني، نايم في المجارى. زي التور اللي بيلف في الساقيه ومغمي عينيه.

– وانت تصدق برضو.

– الله. مش انتي اللي بتقولي، امبارح زنه، والنهاردا صباح. وبعدين يا هابله كل حاجه تحصل تصدقيها، وزي الدبه تقوليها على طول. جاتك القرف، عديمة التمييز، فيه مره هابله تقول لجوزها على كل حاجه.

– يا راجل أمال اخبي، احنا في بيت كله سكان، وكل واحد من بلـــد، وكل بلد شكل وطبع، واحنا غرب، غرب يا ابو سعد، لازم اقـــول لك، أمال يجرى حاجه، وتدرى من بره، اضـــيع انـــا... لأ، لازم تعرف كل حاجه، كل اللي بيحصل. احنا على الخير والشر ســـوا، والنهاردا اخوك ما هو اخوك، وابوك ما هو ابوك، ودي بلد غريبه.

– يالهوي يا حسنه، انتي بير غويط، غويط قوي، وانا اللـــي فكـــرك هبله، ما تعرفيش حاجه، اتاريكي ساهيه، وداهيه ليـــا حـــق، أتـــق فيكي. لأ راجل يا بت، راجل. قومي هاتي لنا ناكل بقى، يـــا وزه لحسن انا على لحم بطني من الصبح.

* * *

نار .نار، نار يا ولاد الحقوني.

هه... هه، زقي يا صباح، زقي يا حسنه، الحق يا وحيد، يا ابو سعيد، الحقو يا ولاد، الأوضه ولعت والوليه مــش قــادره ع النــار لوحدها.

- فيه إيه يا لوزه. مين اللي عمل كدا يا زنه؟
- آه يا ضنايا يا بني، آه يا قلبي، روحي عقلي، قلبي، ولدي، ضنايا، حشاشة كبدي، يا ولدي. يا خرابي، ياناري، نار... يا ولاد نار، نار في قلبي والعه، حريقه، حريقه يا خلق.
- ما تهدي يا زنه وتقولي إيه اللىي جرى؟
- خلاص طفيناها.
- طفتيها يا لوزه، طفتيها يا ام رامي، لكنها قايده في قلبي.
- خلاص يا اختي، انا سايقه عليكي النبي لتهدي، وربنا يجازي اللي كان السبب.
- انا رحت السوق وجيت، بفتح الأوضه لقيت ابن الكلــب نــايم ع السرير وماسك السيجاره وهاتك يا نفخ، والعرق نــازل، مغطــي الملايه، وعمال يشد وينفخ. ناديت، يا علوه، يا علوه. يا راجلــي، يابو البنات، حطيت السبت من على راسي هايقع، يا واكل ناســك رد. رحت شداه من ديل الجلابيه.

راح قايم مفرود زي المارد واندار عليـــا، دب... دب، وهـــرس وراح شادد السبت من على راسي وهاتك يا هرس برجليه، والـــواد على دراعي يصرخ، وهو ولا هنا. وقام جري على رتـــل الجـــاز، ونزل رش في الأوضه، وع السرير والأرض، وراح شـــاطط عـــود كبريت، وساكك الباب علينا.

شوف إيديا، شوفو صدري، نسيت الواد، رميته، وقعدت اطفي، والنار والعه وعماله تزغرط في الأوضه. انا اتحرقت خلاص، أنـــا كنت عارفه أن دي آخرتها مع ابن الكلب. شفته كذا مره في الســـوق مع البت الخضاريه ام عين واسعه، بنت الوليـــه بتاعـــة البطـــاطس وعمالين يضحكو، ويمهمهو، وتحدفه بالبطاطس وتقوللـــه: عشت يـــا سبع، وعاشت مجايب إيديك. وانا واقفه وما اختشى. منك لله يـــا واد عمي، منك لله حرقتني وحرقت قلبي، ضيعتني، وضـــيعت نفســـك، وضاعت الدنيا ياولاد، خلصت خلاص.

- ولاخلصت ولا حاجه، الراجل ومراته زي القبر وافعاله. قـــومي، قومي، دلوقتي يرجع.
- يرجع. جوزي ما هوش راجع يا حسنه، جوزي طلقني رمى عليا اليمين، الفقري واكل ناسه طلقني. يا خراب بيتك يازنه، يا خـــراب بيتك من بعد راجلك وضناكي.
- ياحول الله يا ولاد.
- يا اختي تعالي معايا انتي والعيال، نامو في أوضتي.

– أوضة إيه يا ام رامي. والنبي يارب اشوف فيك يوم يا علوه، يـــا واد عمي، أشوفك مفضوح، تتفرج عليك البت في خباها والام فـــي خشاها، ويكون يوم الجمعه يا قادر يا كريم. عوضـــي عليـــك يـــا صاحب العوض. عوضي عليك يا رب.

* * *

يا عيني ياخالتي زنه، مشيتي والدنيا ليل.

– إلا قوللي يا سعد، هيا مابلغتش ليه؟

– ياهبله، تبلغ عن جوزها. ابوعيالهـا. بكـره هـاتلف عليـه زي الحربايه، وتاخد تارها.

– يالهوي يا سعد انت قاسي ليه كدا!

– اسكتي يا خايبه اسكتي، انتي ما تعرفيش، زنه دي جامده، ساعات كنت باخاف منها لما كانت، تشوفنا واحنا مع بعض. تعرفي يابت يا أوفه، أحسن حاجه ان أنا وأنتي نطلع هنا، بعيد، فوق السـطح، لا حد شايف ولا حد عارف.

– انا خايفه قوي، امي تدور عليا، وبعدين دي لوعرفت اني بالعـب معاك، كانت تطين عيشتي. لا يا عمْ انا نازله، واقعد العب لوحدك انت.

– غوري وانتي قد الحماره، وبتخافي، انا ما باحبش الخوافين.

– لأ يا خويا انا سمعت امك وامي، بيقولو أنهن هـايجيبو ام سـعود الدايه الصبح وهايطاهرو بطه وعصفوره وولاد زنه، قـوللي يـا سعيد، انت ماكنتش خايف؟

– أنا راجل، عارفه يعني إيه راجل، يعني اشدك كـدا، واحطـك ع الأرض، وانتي لو جدعه فلفصي.

– يالهوي، إوعى، إوعى كدا. انت قليل الأدب.

– يابت. يابت انتي خايفه من إيه. أنا باهزر معاكي.

– لأ يا خويا انت عايز تضحك عليا. انت قليل الأدب. أنا مش هالعب وياك تاني، أنا نازله.

* * *

اسم الله عليكي يا عصفوره.

(الأوله باسم الله، والتانيه باسم الله، والتالته لا حـول ولا قـوه إلا بـالله.
جاره بتقول للجاره يا حاسده يا مكاره، ياجاره ما نتيش في خساره، اسـم الله
عليكي يا عصفوره، اسم الله يا اختي.)

– مالها يا حسنه.

– أبدا يا ام رامي من ساعة ما راحت ورانا الترب ندفن الواد ابـن زنه، والكلب طلع عليها وهيا نار قايده، واريحـه راس فـي راس وعماله ترتعش.

– البت انطربت يا حسنه. ما كانش لازم تاخديها معاكي.

– انا خدت، ولا اتنيلت، ما هيا اللي جريت ورانا، وطـرت وراهـا بالطوب، هيا ونبويه الفحله، رجعتهم من قرب المسله مـرتين، ولا فيش فايده.

– يا حبيتي يا بتي. لو ام عكاشه هنا، كانت شافتها، ولا كانت جابت لها طاسة الخضه. هاتي يا اختي هاتي. باسـم الصـليب. إخـص عليكي يا حسنه، دا البت نار، وبتترعش.

– غلبت وغلب غلبي. كإن البت اتبدلت، أو كإن عفريت ركبها.

– مايمكن يا حسنه، ما انتي عارفه يا اختي الأرض مش لينا لوحدينا. والترب واعره ومسكونه.

– أعمل إيه، أعمل إيه بس يا ربي، أطلع من هدومي، ولا أطلع من ديني.

– استغفر الله.

– قومي أستغفري ربك.

– البت هاتروح مني يا ولاد.

– ياختي باكيه على بت. دا موت البت يا هنا، لوكان عطرها علـــى القنا. أمال زنه تعمل إيه اللي ابنها راح في دقيقه، ولا ام عكاشـــه اللي ابنها مش عارفه طريقه.

– اسكتي يا ام رامي دول هما اللي مفتحين عينيا على الدنيا فكـــرك يعني انا حاطه امل على الولدين، أبدًا وحياتك، بكره تاخدهم واحده ع الجاهز. انما البت هيا اللي حبيبة أمها، بكره هيا اللي تجري ورا النعش وتقول يا حبيبتي يا امه.

– كل واحد بياخد من جتتنا راق، وكلهم غلاوه واحده.

– ما ترقيها يا ام رامي، انتي نفسك طاهر، وبنت ناس طيبين خـــدي قولي شاالله ياعدرا تشيلي عنها يا شيالة الحمول.

* * *

نكسه ما بعدها نكسه.

- نكسه كبيره واتنكسناها، زنه ابنهـــا راح، وجوزهـــا طفـــش، وام عكاشه يا ولدها ضناها ضاع، وحسنه بنتها راحت منها. من شاف بلوة الناس هانت عليه بلوته.
- آه يا خرابي يابا.. آه يا خرابي يامه.. عاجبك كدا يارب يرضـــيك كدا. بقى أنا حسنه الغلبانه، اللي طول عمري راضيه بقليله، يجرى لي كدا، يكون ده جزاتي. دانا عابده، حامده، شاكره، صايمه قايمه سهرانه اسبح باسمك، ولا عمري عملت حاجه تغضبك. تعمل فيـــا كدا! يرضيك كدا! فردت حجري لكل اللي تدوهلي انا راضيه بيه، واللي يرضيك يرضيني. بس بلاش تقرص عليا كدا. عوضي عليك يا صاحب العوض. عوضي عليك يا رب.
- يا أختي حرام عليك فرهضتي، ماتعمليش في روحك كدا، الـــدنيا حر.

أعمل إيه يا لوزه؟ أعمل إيه يا ولاد دلوني؟ دى نكســـه... نكســـه كبيرة، واتنكسناها.

* * *

أم فيفي، جنب ام رامي، جنب حسنه، جنب ام عكاشه، جنب زنه.

كلهم جنب بعض، كلهم حزانى، الدنيا ضلمت، والليــل دخــل، قومي يا بدر، قومي خشي أوضتك لا الناس تدهسك، قومي يا اختــي هاتي إيدك. القلب محروق، والجسم ما عدش فيه، ولســاكي بتلمــي الخيوط وتغزلي، لساكي فاكره ان اللي راح هيرجع، لساكي بتســتني وتحلمي. الورد دبل، والعين نورها انطفى، وابنك ضناكي مرمــى ع الأرض، والعيال عماله تشيل وتحط فيه، قومي ياضنايا، قــومي يــا قلبي. يا واد يا حسن، يا سعد، تعالو معايا يا ولاد شــيلوا .. الوليــه تقلت عليا.

– نعم يا خالتي لوزه

– خد يا واد يا حسن شيل، شيل يا بني الواحد اتهد من صباحية ربنا ما قعدش على حيله، والناس ضفه داخله وضفه خارجــه. لميــت حصر الشارع وفرشتهم ولاهماش مقضيين، الناس أمم، أمم وقلبها محروق.

* * *

وانا في شبرا. وكان كل يوم رايح جاي، رايح جاي. اقولله: ياخويا كفايه، تعبت، وانت صاحب عيال وصاحب مرض، يقوللي: دي كلها فركة كعب، وكمان افرك السكر. وفي يوم كنا في موسم زي اليومين دول، وكنت لسه والده الواد رفعت، بصيت لقيته جاي في عز طلقة القياله، ومن بره وعمال ينده: يارامي. يارامي. قلت له: ادخل يا خويا. مالك. اسم الصليب عليك ضحك وقال: أنا دبحت النهارده، خدي اطبخي، كل سنه وانتي طيبه، النهاره مولد العدرا، إبقي هاتي العيال وتعالي. حبيت على إيده، ربنا يخليك يا خويا، ومايقطع لك عاده. خدي امسكي يا بوحه لفة اللحم وشيلة العضم خلي العيال ياكلو، قلت له: خيرك سابق يا خويا: أنا طابخه، والحله ع النار، قام فارد نفسه، وراح منتور، ودخل الدروه اللي ورا السرير وراح كاشف الحله اللي ع الوابور، ومسك المعلقه وفضل يقلب ويطلع.. يقلب ويطلع. وراح خارج عليا. بتكدبي يابنت أبويا، طابخه بساريه، وبتضحكي عليا. طب والعدرا ما انا ماشي إلا لما تطبخي الأكل وتنادي ع العيال ياكلو قدامي. رفعت يا خويا، أحب على إيدك انت صاحب عيا والسهر مر عليك وحياة اختك عندك، روح لحالك وانا من صباحية ربنا هبدر على سوق سميكه واجيب طبيخ واطبخ. تعرفوا ياولاد فضل قاعد لحد ما سويت اللحم، وأكلت انا والعيال، ونامو كمان، وقام ساكك علينا الباب وراح خارج. الله يرحمك ياخويا ويقدس روحك. عمري يا ولاد ما شفت حنيه زي دي. اللي حش

ضهري، وشق قلبي انه مات. مات من غير ما اشوفه. تاني سنه وفي مولد العدرا، كات الدنيا مغارب والعيال بيلعبو، بصيت لقيت قلبي راح دب، وعيني رفت، وكبس عليا العياط، قلت الله اما اجعله خير.

وقمت ادور ع العيال وجمعتهم، وسألت نسوان اخواتي، آمال فين رفعت ياولاد مش باين، فين ابو طارق مش شايفاه. طب فين مراته. خبو عليا، الله يسامحهم، انه تعب وراح المستشفى، قالو الدنيا مولد وبلاش ننكد على حد. اربع رجالة بنسوانهم وعيالهم، وانا وجوزي وعيالي، غير لعمام والأهل. راح في شربة ميه. راح في دقيقه واحده. راح وخد كل حاجه حلوه معاه. آه يا حبيب اختك يا خويا، وحشتني.

– يا اختي مجّدي سيدك.

– قدوس اسمه.

– هو ده طريقنا، ورايحين له، أمال امك فين، وابوكي فين؟

– آه يا حسنه آه. ما راح الصغير راخر ياولاد، نكسه، أخين يحشو القلب ويقطمو الضهر.

– وهو مين النهارده مالوش حد راح. طب اللي مات وعرفنا مكانه، الدور والباقي على ام عكاشه اللي نار ابنها ما راح تنطفي أبدا. كلنا حزانى يا اختي، كلنا حزانى، دا يوم حزن كبير، حزن ما بعده حزن.

الحرب كنست الجدعان كنس.

النكسة صابتنا كلنا.

* * *

- الدنيا متبهدله. اللي ما في بيت ولا في الشارع إلا وانصاب.

روقي يا حسنه بقى.

كفياكي يا ام رامي.

يوه يا خالتي ام عكاشه، روقو يا ولاد، هو أنا جايه اتفك معاكو شويه ولا رايحين تقلبو عليا المواجع. دانا في نار. نار سبحان مين يطفيها؟ اللي زاد وغطى، ابن الكلب جوزي، ابو زماره، سهاني وراح اتجوز عليا، واحده في عين شمس، قال وعامللي فيها ولي، اتدروش وربا لي دقنه، انا ام الرجاله يسيبني! وياريت متجوز واحده عدله، إلا واحده من دور ابنه اللي في الاعداديه.

- يا اختي هم يبكي وهم يضحك. جوزك ابو سنان واقعه، وحنك مطبق، ورجل بره، ورجل جوه، يتجوز عليكي، قولي كلام غير ده يا ام فيفي.
- طب وحياة الشده اللي انتي فيها يا ام رامي، والله وما ليكي عليا يمين، أنا كنت واخداه بتاع ببربور، كان طول النهار يشن، والناس في الحاره كانو مسميينه أبو شنه، شوفي بقى، خليت له بيت، وبقى راجل، وراح اتجوز.
- ما يمكن إشاعه، ولا مغرز وحد عمله فيكي.
- قلت زيك كدا في الأول، وما صدقتش، لحد ما ف مره كبست عليهم الصبح، قبل ما يصحو من النوم، بقى مكسوف مني ومش

عارف فين يتدراى. الأدهى والأمر يا بت يا ام رامىانه باني لهـا بيت لا له أول ولا آخر. حتة أرض كـان شـاريها مـن زمـان، وغلاوتك كله من تحويش إيدي. انـا امسـك علـى العيـال فـي المصروف وادبر، وهو يروح يمتع بيها غيرنا. شفتي الهنا اللي انا فيه، وبتزعلو، على اللي بيموتو، انا عندي كان مات، كان اهـون من اني اشوفه، واشوف خيري رايح لوحده تانيه.

– اسكتي يا اختي ما تقوليش كدا، حسه في الدنيا ويخليه لعياله.

– يعني هو الموكوس كان عمل حسابهم، دا عنده رجالـه عـايزين يتجوزو، دا فيهم اللي خلص جامعه.

– ما يمكن ياختي العيال كبرو، والراجل مش عارف ياخد راحته ما تأخذنيش يعني في دي الكلمه، يمكن بيتكسف منهم، إكمنهم ماشـاء الله حواليه، رجاله طول بعرض.

– طب يتكسف ويخلي عنده دم، ويقول يا واد اعمل لعيالك، دول بقو رجاله، وبعدين هو فيه حاجه، دا وحياتك كله لعب صغار، هيـه.. فوتكو بعافيه.

* * *

ابن اختي راح في دقيقه واحده.

كان صغير، وابوه مدلعه ع الآخر، ما كانش يقول إلا روح يا سبع، تعالى يا سبع. كان ييجي يقعد معايا بالساعات ويحكي لي.

يقوللي: يا خالتي الحرب دي أهوال، واللي شفناه في اليمن معقول نشوفه تاني!! كنا بنضرب في بعض مش عارفين مين مع مين؟ والجبنا اندارو علينا وبقو يضربونا.

حرب ملهاش معنى، كنا لما نزهق ندك البلد باللي فيها دك. نجيب عاليها واطيها. كنا بنموت بالميات. كنا بنشوف الواحد فينا بيموت ومانقدرش نعمل له حاجه، وفي مره كنا اربعه عطاشى جعانين والدنيا نار والشمس قادحه. وكانوا لو شافو واحد منا يضربوه، فضلنا بعطشنا لحد ما جينا مصر، مصر اللي ربنا دعي لها.

شفتي يا خالتي ام عكاشه مش انتي بس اللي مجروحه. انا سايبه اختي في البلد عماله تهبر، ولا حدش قادر عليها. فرشت جنب طربته ونامت. النار كاويه الكل.

– طب انتي يا حسنه، واختك عارفه طربة ابنها، الدور والباقي عليا اللي ماعرفاله قرار. إن كان حي ولا ميت. هاروح بنارك يا ولدي، حزينه عليك ليوم الدين.

– روقي يا خالتي، ما هم بينجو من الحرب ويموتو موته تانيه كله بتاع ربنا. يعني ابن اختي رجع من اليمن، لكنه راح في دقيقه

واحده. كان مسطح على القطر، وقام وقف وماخدش باله. طب وقع والقطر فرمه. روقي.. روقي، وحياة الغالي لا تهدي. والفاتحه لكل الميتين، اقري لهم الفاتحه اقري، ربنا يكرمنا زيهم.

* * *

مادريتوش؟

– ايه يا وحيد وقعت قلبنا.

– بيقولو عروسه اختفت في اسكندريه. الأرض انشقت وبلعتها وهيا ماشيه في الزفه مع عريسها.

– يا ساتر يارب.

وبيقولو نزل وراها الرجاله، مالقيوش حاجه، غير فردة جزمه.

– يالهو بالي.

– استر يارب.

– يا حفيظ...

– وبعدين يا وحيد يا بني كمل.. كمل.

– بيقولو الحكومه قالبه الدنيا. وما حدش عارف حاجه.

– وده سمعته فين؟

– شفته في الجرنان، بص يا ابو سعد، تعالو بصو، بصي يا زنه، اَهه اَدي الشق، واَدي الناس.

– دا بير غويط، شوفو يا ولاد.

– طب انتو ماعرفتوش إيه اللي حصل امبارح. بيقولوا واحده قتلت ابنها هيا وعشيقها.

– وي.. وي: كيف تقتل ضناها. وهان عليها، وجالها قلب.

– أمال ايه بكره يا زنه نسمع عن اللي قتل امه، واللي قتل ابوه.

– آه يا اخي، قلة ايمان، شوف يا أبو سعد. الدنيا خيرها قل، والناس نسيت ربنا.

– حقه يا ولاد، لو ده حصل تبقى القيامه هاتقوم.

– دي علامات الساعه. حسان اليماني قال الدنيا جـت علـى كفـر، وهاتروح على كفر. *(يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف. يالطيف. يالطيف لك في كل البلاوي تصريف).*

– إلحقي يا حسنه جوزك اتدروش.

– ما هيا حاجه تشيب لقرع يا ولاد، جد يصدق ان ده يحصل. بقـى مصر ام الدنيا، اللي الرسول دعى لها، يحصل فيها كل ده.

– لأ ومن مين يا حسنه من شويه يهود لا عندهم ذمه ولا دين.

– يارب نزل عليهم نجمه تحرقهم ولا فيضان يغرقهم قادر يا كريم.

* * *

الشتا ييجي والبيبان تتقفل على بلادي.

والليل يطول، والسهر يحلى قدام الراكيه، والشاي السخن. والحواديت تتحكي والكلام يزيد، وحبل الكلام مالوش آخر. والسهرايه تطول، ونتونس بالحكايات ونقلب في اللي راح واللي جاي، والعيال، يتدفسو تحت اللحاف، اللي يذاكر، واللي ينام، واللي يلعب وهو قاعد. والله الأيام الحلوه يا ولاد بتخلص، والضحك غلي. طب من قد إيه ماضحكناش، ولا عملنا حلاوه. فاكره يا بت يا ام رامي، لما كات زنه تعمل، حلة حلاوه قد كدا، وتدور تفرقها علينا، كنا بنبقى زي اللي في عيد، ولما زنه تعمل كاكا ماكا، وصويتها يطلع الشارع والعيال تهيص، ويخطفوها، ويدورو ياكلوها، وف الآخر يلزقو بعض بيها.

- ولا فاكره يا حسنه لما مسكو، الواد ابن ام فيفي ودهكو راسه، والواد راح لامه يعيط زي العبيط، وهيا فضلت تصوت، ولمت علينا الشارع.
- ما هو واد عبيط وعامل زي البنات. هو كدا الواد في وسط بنات يبقى بنوته، والبت في وسط صبيان تبقى دكر.
- حقه يا حسنه، البت أوفه، بنتي المخفيه، ساعات باحس أنها بت دكر، وما فيهاش من الأنوثه شيء.

- انتي بنتك دكر، وانا بنتي هايجه، وزنه بناتها عفشين، والله ما احنا عارفين هايتجوزو ازاي دول.
- يا اختي بكره خراط البنات يخرطهم. واللي جوز زنه، يجوزهم.
- دا كان زمان يا ام حسن، النهارده، الراجل عايز واحده متعلمه زيها زيه، ويمكن يكون عايزها موظفه كمان.
- حقه يا ام رامي ده كوم، والوظيفه إللي طالعين فيها الايام دي كوم تاني. امبارح رحت اقدم للبنت بطه في مدرسة المسله إلا ولقيت لك مين هناك.
- مين؟
- تصدقي بالله انا ما عرفتها حطه لحمر ولبيض وعمله شعرها السد العالي وهيا اللي عرفتني، وجابت لي شاي كمان. البت الكبيره بنت ام فيفي.
- مين؟ أفكار، فيفي.
- قال ايه بتشتغل سكرتيره في المدرسه. وراحت واخده مني الورق وهيا اللي ملته، وقدمته. وسألتني ليها اخوات هنا. قلت لها لأ. اخواتها كلهم في شجرة مريم. بس انا عايزاها تبعد عنهم، عايزاها تبقى لوحدها، أصلهم بايظين، وكمان العيال ولاد اللامون بينطو من السور وينزلو الوحش ويضربوهم، وياخدو منهم الأكل. وانا خايفه عليهم، وكمان هناك سوق سميكه، خليها عندكم احسن. يمكن تفلح.
- يخيبك ربنا يا حسنه، انتي ما سمعتيش، يا مره، عن عفاريت المسله.
- عفاريت؟

– ايوه بيقولو فيه عفاريت ساكنه الأرض، اللي فيها المساخيط، هناك عند زرايب الخنازير، عند الطرب، في الغرب. قال إيـــه الارض بتنشق وبيطلع عفريت يخطف العيال وينزل تاني تحت الأرض. دا الدنيا هايجه، والحكومه قالبه الدنيا هناك، قال بيقولو لقو اشـــارات هناك بيفتحو.

– يالهو بالي نروح فين ونيجي منين.

– أنا عن نفسي يا حسنه بعمل إيه، كل يوم بودي البت ألفت المدرسه وانا رايحه السوق، وارجع اجيبها بنفسي، ما بقتش آآمـــن عليهـــا المخفي رامي. كان بيسيبها ويروح يركب عجـــل، وهـــي ترجـــع لوحدها.

– إحنا احسن حاجه يا صباح نقعد العيال من المدارس ونريح دماغنا، بلا تعليم بلا وجع قلب.

– ومين سمعك يا حسنه انا عن نفسي، قلت لبنت الشرموطه أوفه، لو ما نجحتيش السنه دي في سنه رابعه، هاقعدك، خصوصا المخفـــي رامي طالع وراها، والمصاريف تقلت علينا، وكمان المخفي وديـــع هيخش. السنه دي هو كمان. الواحد مش عارف يلاقيها منـــين ولا منين، من المدارس، ولا من الحرب، ولا من الغلا.

– آه يا اختي الواحد غلب وغلب غلبه. مش عارف يلاقيها منين ولا منين؟

* * *

من يوم ما المهجرين جم والحاجه زادت الطاق طاقين.

والدنيا غليت علينا.

– آه يا ام رامي، ما هو حدايه من الجبل تيجي تطرد أهل الوطن.

– جبل إيه، ووطن إيه، يازنه!! دول أهلنا واخواتنا.

– يووه يازنه، سدك كدا واقفالي ع الواحده.

– اسكتي، اسكتي، وانتي مش عارفه حاجه.

– طب إيه رأيك من يوم ماجت الوليه ام جلامبو، والدنيا بقت نـــار، والعيشه مش طايقينها.

– دي مين دي اللي بتنده عليا.

– عاوزه حاجه يا زنه نيجي، تحبي اقوم لك.

– شفتي آهي جات ع السيره، مبسوطه يا حسنه عاجبك كدا.

– جرى إيه يا مَرَه، تحبي نقوم لك ولا إيه.

– لأ يا اختي فضلة خيرك، دي زنه، هيا كدا لسانها متبـــري منهـــا، وبتحب تهزر.

– تهزر ولاضابحه تقول ياشر اشتر.

– ما احنا آهوه كافيين خيرنا شرنا، قاعدين، سيبنا دارنـــا، وســـيبنا وطننا، تركنا الجمل بما حمل، وطلعنا يا مولاى كما خلقتني.

– اسم الله يا اختي، جيتي وسط أهلك وناسك، والله يا شيخه لا انتـــي ساكته، وكفياكي بكا، يا حول الله يـــارب، يجـــازيكي يـــا زنـــه ع الصبح، قلبتي المواجع.

– جوزي كان راجل بمبوطي قد الدنيا، وكنا ساكنين في حي لربعين، وابويا كان بيشتغل في الكنال. انضربنا، واتبهدلنا، قمنا شيلنا العيال هيلا بيلا، وهاجرنا. أنا جيت المطريه، وأمي سافرت بلـــدها عنـــد اخواتها، واختي راحت الصعيد عند أهل جوزها. يعني اتفرقنا وكل واحد راح في يمه. ابويا وجوزي قالو مانسيبش الأرض، لازم حد يفضل. فضلت الرجاله، وجات الحريم.

– حريم مين يا امه، أمال الرجاله اللي ماليين سوق الســمك، واللـــي بيتاجرو في كل حاجه، واللي دايرين يهلبو، يبقو مين؟

– تاني يا زنه تاني. إحنا هليبه؟ طب والله دي ما هيــا معديـــه لـــك بالساهل، واما ييجي جوزك، راح نقول له على كـــل حاجـــه، يـــا ناشفه، يا خباصه.

– يووه يا زنه اكتمي واختشي أمال، انتي شـــبطه يـــا اختـــي، نـــار ماتنطفيش.

– آه يا ولاد لو شفتو اللي شفناه، ولا عشتو اللي عشناه، لما نار جهنم تبقى فوق روسنا، وطيارات العدو ماليه السما زي المطره، وتـــرخ على روسنا كنابل، تبقى حاسس إن القيامه قامـــت. اللـــي بيـــوتهم اتهدت، واللي تجارتهم راحت، واللي عيالهم ماتو، كل ده، ومـــش طايقنا وسطيكم، وانتو هنا نايمين وسط عيـــالكم، ولا خســـرتوش حاجه. واحنا اللي خسرنا الجلد والسقط. وعشان كدا جايين تتشطرو علينا، وكل يوم والتاني عيالكم يضربو العيال، وبعـــدين الحراميـــه والنوَر كترو اليومين دول.

- عالم صايعه ولا شغله ولا مشغله، طول النهار متلطعين ف الشوارع زي الدبان.
- عيب يا زنه اكده.
- اكده! هو انت صعيديه؟
- أبويا من سوهاج، جه السويس ورا أكل عيشه. انتي يا زنه لو كنتي شفتينا قبل الحرب ماكنتيش قلتي اكده.
- إيه، كنتي السفيره عزيزه؟
- واكتر. كان الرزق بيطف من الحيطان، ومغرق الدنيا. وبنلعب بالفلوس لعب. وفي يوم وليله، كله راح. الفلوس، والبيت، والأرض، والعيال.
- يووه يا زنه، مافيش فايده، حتى لو قطعو من جتتك بالحته، انتي هو انتي، واللي فيه داء عمره مايسلاه. الوليه في حالها، كافيه خيرها شرها، مالك ومالها. وبعدين دول ضيوفنا ولازم نشيلهم على راسنا من فوق.
- والله يا حسنه انت حماره، وناقص يطلع لك ديل، وما انتي فاهمه حاجه. صح يا رامي ولا لأ، حتى اسألى لوزه مرات عبيد، دا حتى بدر المجنونه شافت، وسمعت، وانتي كدا هتتك كدا على نياتك، جاتك خيبه مَرَه.
- ماتزعليش يا ست أم جلامبو، زنه دي طيبه وقلبها ابيض. وانا من سوهاج من إدفو، وياما سافرت السويس مع المرحوم ابويا، كان لينا قرايب هناك. وزنه دى، من القصر، بس هيا كدا، لسانها متبري منها.

– أيوه، كلكم طلعتو قرايب ومافيش غريب في البلد الا احنا.
– أيوه، ياحسنه اتلم تنتون على تانتن، طلو لتنين انتن وانتن.
– حوش يا علوه عنا مراتك.
– فيه إيه يا مَرَه. مراتي دي مش هاتتلم، إلا لما اسمّها، زي الفيران.
– يا اخويا انت راخر، وانا مالي. ما هيا البلد هيا اللي فيهـــا كـــلام، والكل بيتكلم، اللي يقول عليهم حراميه، واللي يقول نشفو علينا الميه في الزير، والحاجه غليت، وبقت بالغلا والكوا. امبارح جيت أجيب كيلو قوطه، كنت باجيبه بتعريفه، وسواعي لتنين بقرش. النهـــارده رحت أجيب، البياع مارضيش يخلينى احط إيدي، وقـــاللي الكيلـــو بقرشين. ولما قلت: والغلابه يجيبو منين؟ قاللي: بلاش تاكلو قوطه، كلو مش.
– بتقولي إيه يا زنه.
– هو ده والله يا ام رامي اللي حصل، وجيت افهم فيكم من الصـــبح، مش عايزين تفهمو.
– يعني الدنيا ولعت. واللي زينا يجيبو منين. يا ساتر استر يـــا رب. ألطف بعبيدك يا لطيف. يعني بكره الرغيف يبقى بقـــرش والرتـــل الجاز يبقى بقرشين.
– أيوه يا حسنه. انا سمعت ع القهـــوه امبـــارح ان الجـــاز هـــايبقى بالكوبون على التموين.
– يالطيف يالطيف، لك في كل البلاوى تصريف، وإيـــه يـــا علـــوه، سمعت إيه كمان؟
– سمعت حاجات كتير. بيقولو كل حاجه هتبقى على البطاقه. الزيت،

والسكر، والرز، واللحمه، حتى القماش هايبقى بالبطاقه.
– يالهوي. على كدا الواحد يلم الحتتين العيال، ويطلع بيهم ع البلـــد، آهو يرمحو في الأرض، وياكلو.
– ياحسنه يعني الغلا هنا وبس. الغلا هتلاقيه في كل حته.
– اهو يا علوه حتى نبعد عن الضرب حبه، وكل شويه طفو النـــور، والغاره تضرب، حتى المدارس ياريتهم يقفلوها.
– المدارس مش مهم. الخوف لا إسرائيل تضربنا زي مـــا ضــــربت الكنال.
– انا سمعت امبارح من العيال ان بيقولو لهم في المـــدارس. خلـــي أهاليكم يدهنو الإزاز ازرق، وكل بيت يبني قدامه حيطه. وانهم لو لقيو حاجه في الشارع أو على الأرض، ما حدش يوطي وياخدها. شوكالاته، بسكويت، قلم، لعبه، أي حاجه. بيقولـــو دي متفجـــرات، الطيارات بترميها.
– حقه يا حسنه. الواد رامي ابني، بيقوللي، دول لقيو واحد اسرائيلي عند القسم نازل بالبراشوت، ومسكوه.
– اسكتي، طب إيه رأيك ان البت نبويه بتقوللي، أنهم مسكو اتنين في سوق سميكه، عاملين نفسهم شحاتين، وبيخطفو العيال، ويـــدبحوهم عند العرب. قال إيه في المسله كنز، ومش هايطلع، الا بدم اربعين عيل. ولازم يكونو ولاد.
– آه ممكن. الطرب هناك، يدفنوهم ولا من شاف ولا من دري.
– طب إيه رأيكم، انا سمعت، من واحد صاحبي في الفرن بيقول أن عندهم في البلد واحد اسمه محمد الميت. ده مات وبعد ما انـــدفن،

وقعد في الطربه اسبوع بيفتحو الطربه لقوه صاحي وعمال يلعب. وسموه محمد الميت.

- يا اختي، يا اختي. علامات القيامه يا ولاد. القيامه قربت.
- طب إيه رأيكم بقى، والكلام دا في سركم، ان امبارح، ابو رامي قاللي حاجه غريبه، وانا افتكرته سكران وبيخرف. قال بيقول إيه، إن العدرا طلعت له وهو ماشي جنب سور الكنيسه، في الزاتون.
- العدرا طلعت، آدي اللي كان ناقص. مش باقول لكم ان القيامه هتقوم. طالما العدرا ظهرت، يبقى المسيح هينزل ويقتل المسيخ الدجال. يبقى الدجال ظهر يا ولاد. واحنا مش عارفين. مش يمكن هو واحد من اللي عاملين شحاتين وبيخطفو العيال.
- لأ يا حسنه. المسيخ ده لسه بدري عليه شويه، لكن دي علامته، احنا سمعنا في الكنيسه كدا.
- يا لطيف اللطف. يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف. يا لطيف الطف بنا دا حنا غبيدك كلنا.
- إيه يا حسنه. كدا تتجنني.
- أتجنن يا علوه؟ هو فيه اكتر من كدا جنان.
- اسكتو يا ولاد اسكتو. مادريتوش.
- إيه يا ابو رامي، وإيه اللي جايبك بدري كدا، وجاي قاطع النفس، حد بيجري وراك.
- حد إيه. الدنيا مقلوبه بره، والناس ماليه الشوارع بيقولو العدرا ظهرت في مسطرد. وفيه ناس شافت راجل أعور بعين واحدة شايل على ظهره قربه ميه، وماشي في سوق سميكه يسقي الناس.

– يالهوي. هو المسيخ الدجال. زمان الشيخ قال لنا في الجامع، انـــه هايظهر ويبقى شايل على ظهره قربة ميه. واللي يشرب منه، ينسى امه، وابوه، والدنيا كلها ويمشي وراه. لغاية لما يبقى مفيش غيـــر عشره هما اللي ها يرفضو يشربو. وهما اللي هتفضل في قلـــوبهم كلمه لا إله إلا الله. وزي الدنيا مانشأت على كفر هـــاتروح علـــى كفر،

والناس هتقتل بعضيها، والحروب تملا البلد. والميه تخلص مـــن ع الأرض، يقوم المسيح ينزل ويقتل المسيخ الدجال. وتقوم القيامـــه. حسان اليماني قال كدا. قال: زي ما نشئت على كفر، هاتذهب علـــى كفر.

– يالهو بالي يا ام جلامبو. واحنا هانعيش لما نشوف كل ده.

– لأ.. إحنا فين. ولا احنا، ولا عيالنا، ولا عيال عيالنا. ده هايحصل في آخر الزمان.

* * *

....

ماما جابتلي أشارب حرير

نيمتني على السرير

والسرير طوح طوح

ما يخليش حد يروح

إلا جمال ومراته

والناس تحلق بحياته

حياته تمر حنه

أكبش منها واتحني

– من يوم ما مدرسة بحر البقر انضربت، وقعدو العيال من المدرسه، والعيال فرحانه، ومابقاش وراهالا شغله، ولا مشغله غير اللعب، وتصديع الدماغ.

– وياريت على كدا وبس يا حسنه. إلا في الآخر يلعبو، يلعبو، ويروحو غادرين على بعض، وهاتك يا ضرب.

– صدقتي يا ام رامي، عمرهم كانوا كدا، إلا دايمن كانو اخوات وحبايب، واللي في ايده حاجه بيدي التاني.

– هما عيال ام جلامبو، اللي علموهم القساوه، عيال غدارين، وخطافين، دايمن يخطفو اللعب من إيد العيال. والغرابه يبقو ضاربين العيل من دول ويروحو يشتكو، ويعيطو لامهم.

- ما هو ضربني وبكى، وسبقني واشتكى.
- حقه يا زنه، عامله زي الغراب هيا وعيالها، وتطلع مــن طلعتهــا لغطستها، ما حدش عارف بتروح فين، ولا بتسوي إيه.
- بصو يا ولاد معايا كدا. مش دي لوزه اللي قاعده جنــب الحيطــه هناك، عند أوضتها عماله تعيط وقاطعه خس.
- آه صحيح يا حسنه، دي باينها بتبكي.
- أيوه يازنه، وحاطه إيدها على خدها.
- بصي يا ام رامي معايا كدا، اندهي عليها.
- يا لوزه، يابت، كفى الله الشر، قاعده بين لعتاب كدا ليه؟
- اسكتي يا ام رامي وسيبيني في حالي الله لا يسيئك.
- قربي يا حسنه قربي، البت صدغها بيخر دم. يالهو بالي يــا ولاد، شوفي بُن يازنه عند ام فيفي، ولاحد من الجيران، اجري يــا بــت شهيلي، البت خدها بيشلب دم.
- بت يا لوزه. مين اللي عمل فيكي كدا يا فقريه.
- الله يخيبه راجل من دون الرجاله، المخفي جوزي، اتمكــن منــي امبارح، وراح قاطم خدي.
- يخيبك مَرَه. وتسيبيه يابت لما ياكل خدك بالشــكل ده، يــا عــرة النسوان.
- اعمل ايه ياولاد. ماهو غصب عني. امي وابني نايمين معانــا ع السرير، وابن الكلب عايز...، اجيبه شمال، اجيبه يمــين، مــافيش فايده. خفت يصحو، سكت.
- يخيبك، تسكتي لما ياكلك بالشكل ده؟.

- أعمل إيه عايز يتشطف. وامي وابني راكبين على نفسنا، ومافيش حد عنده دم. تعرفو انا ساعات بانزل تحت السرير واستخبي، المخفي عفي وانا غلبانه، هو برضو مش عارف ياخد راحته.
- وإيه باين عليه قاعد.
- قاعد يا اختي.

قعد على قلبه حجر، من يوم ما عرف اني باشتغل وهو مطيز لها، ونايم في الخط.

- البن آهه. لفيت لحد ما لقيته.
- هاتي يا زنه هاتي. وياريت تجيبي مرايه من عندك.
- المرايه أهه في صدري.
- بصي يا حزينه بصي. شوفي القهران.
- بس لحسن امي تسمع.
- تسمع ! ما هاتشوفك.
- أمي نظرها على قدها، ولما تعرف، يبقى يحلها ربنا.
- طب وابنك؟

* * *

– اسمع يا سراج، احنا ما بقاش لنا قعاد هنا، لا زم نعــزل، العيــال كبرت، والأوضه ضيقه، ورب هنا، رب حته تانيه. اسمع انا مــن الصبح هاساعدك.

– تساعديني ازاي يا صباح، ما انتي بتخيطي معايا الجزم. وانا بادق مسمار ولامسمارين، آهي ماشيه.

– الجزم في المحلات ماليه الدنيا، انا هتاجر، الرزق يحب الخفيــه. هاشتري كام فوطه، على كام ملايه، وهابيعهم بالقسط.

– منين يا صباح داحنا يا دوبك، انتي فاكره، اني مش عارف انتــي بتعلمي إيه، بتروحي السوق آخر النهار، وابــو قرشــين تجيبيــه بقرش، بتشتري الخضار شروه.

– على العموم وحياة رامي وألفت ما انــا ســاكته، ألا لازم اســأل واتطقس، واروح للوليه مرات جرجس العسكري اللي بيجي يبيــع لك بيادات العساكر. وأسألها. اصل انا باحلم ببيت ملــك. امبــارح وانا بانده على أم أحمد الدايه، شفت بيتها، حاجه إيه ترد الــروح، واحنا ماشيين نتكلم عن الدنيا والغلا اللي نازل يرخ.

قامت قالت لي: اسمعي يا بت يامرات الجزماتي انتي شــاطره ومدبره، وجوزك على قده فيه أرض في المرج، رخيصه، اشــتري حته كدا وروحي فيها، انشاله تبني عشه بالصفيح وتقعدي. أهه اسمه ملك. وحياتك انا عامله البيت ده من تدبير إيدي، هو عمك ابو أحمــد إيه؟ حتة عسكري في القسم.

- صحيح يا صباح.
- آه والله، الدنيا كلها على كدا. والبت نبويه محوشه معايا قرشـــين. آخدهم ابيع واشتري، ولما تفرج ارجعهم، ولا من شاف، ولا ومن دري، ويمكن اسأل ام فيفي على جمعيه صغيره، بريال في الاسبوع كدا ولا حاجه.
- اعلمي اللي تعرفيه، أنا خارج.
- يرزقك برزق غيبي، لايتحد، ولايترد، ولايكون له في الدنيا قد. يا سراج يا ابن دميانه.

* * *

ساالخير ياولاد.

– مين خالتي ام عكاشه، هل هلالك شهر مبارك.
– ازيك يا حسنه يا بنتي.
– ازيك انتي.
– إيه يا وليه غطستي مره واحده، كدا ليه؟ كنتـــي فـــين؟ اتفضـــلي ادخلي.
– آه يا بنتي. لفيتها عزب وبلاد، ماخلتش مطرح إلا لما لفيت فيه. ما خليتش باب إلا لما دقيته.
– حكاية ابنك برضه.
– هو حد واجع قلبي غيره.
– يا حبيبتي يا اختي.
– زرت أوليا الله الصالحين. فتحت المندل، شفت الأتر. ولا حس ولا خبر. ولدي ضاع يا ناس، ابني ضاع يـــا خلـــق، ابنـــي راح ولا رجعش.
– إلهي يصبر قلبك. إرخي عليهـــا الصـــبر مـــن عنـــدك يـــا رب. ماجابهمش قلب واستريح. وولادك يا خالتي. يدورو معاكي؟
– ولادي! كل واحد ملهي على أكل عيشه. هما منا، لكن احنا مـــش منهم. ابنك طول ما انتي بتأكليه ومحتاجلك. لكن أول ما يـــتلم لـــه على مَرَه، قولي ياللا السلامه. آه ربت الخايبة للغايبه.
– ربك مسيره يعدلها، هو اللي لا يغفل ولا ينام. قادر يرجع ابنك هو وغيره.

– مالك يا حسنه يابنتي، عمرى ما شفتك حزينه كدا.

– أقول إيه يا خالتي، واعيد إيه. الراجل اتدروش، وبقى يغيب بليـــام والليالى وأسأل، يقوللي كنت مع الإخوان في حضره عند زميلنـــا. مرّه فلان، ومرّه علان. مره في البركه، ومرّه في بلقس، ومره ف الشرقيه ف مولد ابو مسلم وآهو داير يعط، وســـايب الجمـــل بمـــا حمل، واللي زاد وغطي، مابيروحش الشغل، وكل ما اسأل عليـــه حد، يقوللي ما جاش، أدور أنا، ادور عليه مرّه في المرج، ومـــرّه في القلج.

– من إمتى يا بنتي؟ دا طول عمره راجل دوغري وفي حاله، إخوان إيه؟ وحضرة إيه؟ شايفنا فايقين ورايقين.

– البت نبويه الفحله، رخره من امبـــارح مـــا رجعـــتش، وســـمعت طراطيش كلام وانا باجيب العيش من الفرن الصبح، انهـــا متلميـــه على واد فحل زيها، ودايرين ينكشو في الزبايل سوا.

– ودا واد مين ده؟

– أنا أعرف، بيقولو، واد أسود كدا، من العيـــال المهجّـــرين، اللـــي طلعولنا في البخت، كنا ناقصينهم روخرين.

مش عارفه اروح فين؟ ولا آجيٰ منين؟ دبريني يا خالتي.

– التدبير لله يا بنتي، تبات نار تصبح رماد. تعالي نلف عليها، نسأل العيال.

– سألت. حتى الواد ابن ام لالو العبيط. رحت لامه الدكانه وسألتها. بس امه قالت حاجه غريبه، قالت بتبيع سمك في السوق مع العيال السوايسيه.

– طب ما تروحي تسألي عليها.

– ييه، رحت، وخوضت في زفارة السمك، ما خليتش مطرح. جيبتها من عزبة العقاد، للميدان لشارع المطراوى، للامون، لمساكن شجرة مريم، لسوق سميكه. ولفيت من ورا الكنيسه وعديت رحـت أرض البلسم والخارجه، ومحطة القطر، ولفيت ورجعت عين شـمس ع المسله على شارع التروللي، ورجعت تـاني ع الميـدان. رحـت القفاصين والزاتون. ماخلتش، لحد وابور الميه، ورجعت من عنـد سيدى ابراهيم لفيت المطريه لف. أنا قلقانه، الراجل والبت ، هجـو مره واحده.

– أمال فين العيال، انا شايفه البيت فاضي؟

– أم رامي وعيالها راحوا يَمّه، ولوزه وحسن راحوا يَمّه، وسعيد وام فيفي وعيالها راحو يمّه. الشارع كله بيلف، الناس كلها بتدور حتى وحيد خد ديله في سنانه وراح طالع ع القسم يبلغ. وقـال هـايطلع على مستشفى شكري والدمرداش.

– روقي، روقي. والغايب مسيره يرجع. ما انا اهه، سنين وأيام. فين من أيام النكسه وانا بالف.

– الله يصبر قلبك. يرجعه لك سالم غانم هو وكل اللي زيه.

– اسمعي يا حسنه، خشي اتوضي، واستغفري ربك كـدا، وتعـالي امـا نصـلي ركعتين لله في سيدك المطـراوى. واحنـا ان شـاء الله هنرجـع نلاقـيهم، ولا اقولك، قولي شالله يا اهل الله، واندري ندر للسيده. ولا قولي شالله يا عدرا، يا ام المسيح ترجعي الغايب، واندري لها ندر، قولي لها، ياللي المطريـه حتـك وقوتك، انتي وابنك. وابقي روحي عند الشجره وملسي عليها، يمكن ربنا

يفك عنك. تعرفي يا بت يا حسنه ف المولد بتاع العدرا اللي فات، انا رحت وحطيت في الصندوق اللي فيه النصيب، ولفيت حواليها. وانا باقول لها وبابوس اعتابها: أنا سايقه عليكي حبيبك، خرجي اليهود ولاد الكلب، اللي خدوا ضناكي، واللي طفشوكي من بلدك، وجيتي حدانا يا عدرا، رجعي الغايب، رديهولي. وحياة المسيح حبيبك اللي اتكلم في المهد، وحياة من رفع السبع سموات وحما ولدك ورفعه عنده، إوعي تنسيني يا عدرا.

– إيه يا خالتي. مابقاش الا النصارى اللي نطلب منهم.

– اسكتي يا بت ما تخيبيش. طب إيه رأيك، أنا رجعت من عندها حاسه كإن هم كان على قلبي وانزاح، وان ربنا مش هايخيب رجايا. وندرن عليا، والندر يوفي الدين، إن جاني خبر عن ابني، سوى حي أو ميت، لأعمل ليله لأهل الله، وودي للعدرا اللي فيه النصيب، طب والنبي لودي لها خروف، وادبحه ع العتبه، وافرقه عندها ع الغلابه. اسكتي يا بت اسكتي. خصيمك النبي ما تعيبي فيها، اندري لها حاجه وشوفي. كله عشان الضنا يهون، قومي يا بت قومي، نلحق المغرب في سيدك المطراوي، المغرب غريب. وادعي وقولي: يا رب نزل علهيم نجمه تحرقهم، ولا فيضان يغرقهم، اليهود ولاد الكلب. ادعي يابت. وقولي يا عدرا، يا أم المسيح، يا طاهرة، رجعي الغايب، وقولي يا بت قولي.

* * *

اللي جوزها غايب، تاكل الطبيخ نَي وتقول عليه طايب.

- مالك يا حسنه قاعده بين لعتاب ليه؟ دا مش كويس عليكي والــدنيا مغارب.
- أبدا يا لوزه. العيال لحد دلوقتي ما رجعوش، وقلقانه.
- برضو ما حدش رجع.
- أبدا. لا الرجاله رجعو. ولا البت جت. ولا اللي خرجو يدورو حد رجع وبل ريقي.
- معقوله؟!
- طب الوليه ام جلامبو فين هيا وعيالها؟
- قال إيه، راحو مولد العدرا، خدو فسيخ وبصل، وراحو مســطرد يتفسحو.
- طب إيه رأيك ياحسنه ما تيجي نروح، مش يمكن نلاقيهم هنــاك. تكون بنتك خدت حاجه كدا ولا كدا، وراحت تبيعها في المولد. مــا انتي عارفاها، تحب القرش زي عينها، وتجيبه من تحت طقــاطيق الأرض.
- آه والنبي ازاي فاتتني الحكايه دي. طب استني خالتك ام عكاشــه بتعمل كبنيه وجايه، كنا هنروح المطراوي نصلي وندعي.
- مطراوي إيه، سيبك من الوليه الخرفانه دي، قومي، قومي، بلاش كسل.
- ولا يكون حد من العرايشيه لاف عليها.

– عرايشيه.

– أيوه.

فيه واد كدا، بيبيع امشاط وفلايات بيقف على ناصية ابو شراقى، شفته كذا مره واقف وياها، بيقولو له يا مليم.

– يا نكدي. انتي تقولي عرايشيه، وام لالو تقولي سوايسيه.

– اسكتي باينك خايبه يامَرَه، ولا تعرفي التره من الفره. كلــه مــن الوليه ام جلامبو جلابه المصايب، هيا اللي فتحــت عينهــا علــى القرش، وطمعتها، ودايره تحوم حواليها، عــايزه تاخــدها للــواد اخوها، واد فحل وابيضاني ودمه سم، باشوفه في ســوقه ســميكه كتير، بيبيع فسيخ وملوحه. دا حتى ام جلامبو اتخانقت مــره مــع العيال العرايشيه اللي في الشارع اللي ورانا، وقامت مجزره، بــين السوايسيه بتوع السمك، والعريشيه بتوع الفسيخ والملوحه، وبنتــك كانت وياهم.

– وماقولتيش ليه يا لوزه من ساعتها.

– انا باحسبك عارفه.

– كدا سايباني على عمايا، وآكل في روحي. منك لله يا ابــو ســعد، منك لله يا اخويا سايب الفحولا بتوعك عليا وهاجج، الدنيا اتغيرت، والوحوش كترت، والعيال هتروح مني.

– ولا هاتروح ولا حاجه. انتي بس اللي قاعده، مابتخرجيش، يــاللا، ياللا نروح المولد ام رامي والعيال رايحين.

* * *

– طبعا باخاف، باخاف قوي، إبعد بقى يا سعد، لحسن أهلي كلهم في المولد وحد يشوفنا، يقول لخالي، وانت خالي ده ماتعرفوش. امي بتقول خالك ماهر، واعر قوي. انا هامشي لحسن شايفه طارق ابــن خالي بيبص علينا، آهو قرب آهه.

– سقفو، سقفو، خلي العدرا تظهر، سقفو جامد، مالكم كــدا خــايفين، آهه هتظهر، إوعو كدا وانتو عيال خيخه.

– عدرا إيه اللي هاتظهر، باين الواد أبن خالك ده عبــيط، ولا فيــه عدرا ولا حاجه.

– إوعى تقول كدا، ولا حد يسمعك، لحسن يطرودنا بره، آهو سقف، واعمل زي ما بيعملو.

– ياشيخه روحي باين عليكي هبله زيهم، انتي مصدقه، دي تخاريف.

– اسم الله عليك، إوعى كدا وانبت باين عليك خايب ومــش عــارف حاجه، الله مين اللي جايه هناك دي؟

– إيه. دي البت البيضه التخينه بنت ام فيفي، إيه اللي جابها هنا؟

– البت دي أنا مابحبهاش، الواد رامي اخويا بيقول إنها معاهم فــي الفصل، بت أليطه وطالعه فيها، على إيه ما عرفش!

– اسكتي يا هبله اسكتي، دا الواد حسن أخويا بيقول عليها بت لهلوبه، وشاطره والمدرسين بيحبوها، ويمكن تطلع الأوله السنه دي في سنه رابعه، دا بيقول إنها أشطر منك.

– اشطر مني، روح، روح، وانت عبيط زي اخوك، دي لا شـــاطره ولا حاجه، دي حتى دمها سم، انا هامشي مش عايزه اسلم عليها.

– هدي يا بت يا ألفت خدي. والله صدق اللـــي قـــال عليكـــي هبلـــه بصحيح. أما نروح نشوف الوز المزغط، اللي زي القشطه ده، قال دمها سم قال، دي غيره وحقد وخيابه.

* * *

الدنيا غريبه وكبيره.

زنه ابنها يموت، وتمشي بالليل، وانا ابويا طول الاسبوع بره مابنشفهوش، وعمي زمر طول النهار يدق مسامير في الجزم، وانا قاعد فوق السطح اسمع دقه فيها. وعمي وحيد حمار كل همه السيما وهو حمار، فاكر نفسه فريد شوقي. وخالتي لوزه جوزها غلبان عواطلي، وبدر جوزها يموت ويغرق في الحلوه عند معدية عثمان، وامي، امي دى غلبانه، فاكراني صغير مش عارف حاجه. ناسيه اني اكبر من نبويه الفحله.

– يا معّار، دا انت يا حسن قد رامي عندك تمن سنين.

– رامي مين ابو شخه، روحي، يا تخينه روحي، انتي مش عارفه حاجه. انا عندي عشر سنين، يعني قربت ابقى راجل، طب احسبي كام سنه، من ستين لسنه سابعين، يبقى كام.

– عشر سنين.

– آهه شفتي انى كبير.

– شفت.

– قوليلي بقى انتي عندك كام؟

– زيك. عشره. آه، آخر السنه يبقى عندي عشره.

– ها، انا اكبر منك. انا تميت العشره من زمان.

– انت أهبل، حد يطلع لسانه زي الكلب كده؟

– انتي لهلوبه. يالهلوبه، يا تخينه.

– انا اسمي سمانه يا عبيط. يا بليد الفصل يا حسن انت وألفت ورامي، حتى الواد اخوك سعد، خايب وكل يوم يتضرب علقه من الأستاذ.

– يا تخينه طظ فيكي.

* * *

في مسرى تموت الحمير العسره.

اسكتي يا بت يا ام رامي اما اضحكك. احنا طلعنا الميدان زى الجراد، كل اللي في بيتكم، على عيال الشارع، على الواد ابني والبت بنتي، ووقفنا. شويتين وعربيه كركبيره جات، وفضل العربجي ينادى: العدرا، العدرا. ياللي راح تزور. وفضل يركب، يركب، لحد ما ملا العربيه ع الآخر. وامشي يا حمار، مش راضي يمشي، يا حمار امشي، قال راسه والف سيف ماهو طالع، والحمار يتمرغ ع الأرض، ويتلعبط زي القرموط السمك. والراجل يضرب فيه بالزخمه اللي معاه. وبعدين نزلنا. قام الحمار فارد نفسه وفضل يبرطع، والعيال تجري، واحنا نجري، والعربجي يجري. والأكل وقع مننا والميه اندلقت، وخالتك ام عكاشه وقعت، وفضلت حسنه ولوزه يشدوا فيها، هما فوق العربيه وهي تحت. وانا اجري، وراهم. وأول ما طلعنا، راح الحمار بارك ع الأرض تاني. شويه وقرب مسطرد كدا، عند الكوبري، قالوا إيه دا فيه رجاله من الشفخانه، بياخدو الحمير التعبانه. والعربجي يصرخ في الحمار، ويلهلب فيه عشان يجري زي الرهوان. وقعد يقولو ادعو ياجماعه نعدي بالسلامه. فضلت خالتك حسنه وام عكاشه يدعو والعيال يردو عليهم، بقو زي اللي بيشحتو في السيده، هما يقول: يا كريم يا رب سهل لنا العاصي. والعيال يقولو: يارب، يا عدرا نعدي بسلام. آمين يارب. فرجو علينا الناس الله يخيبهم، وانا ولوزه دافسين بوزنا في عبنا وهات يا ضحك.

- والله ليكي وحشه يا ام فيفي، يا مرحب.
- اسكتي يا بت يا صباح، قلبنا شعوط من الملوحـــه اللـــي البـــت ام جلامبو بتبيعها، وشوفي لنا حاجه نبرد قلبنا.
- على حظكم أخويا لسه دابح النهارده وفاتّين. ادخلوا اما أغرف لكم. ولمي العيال وهاتيهم، وقولو: شالله يا عدرا.

* * *

- عايزه تبقي زباله، هيا قالت لي كدا.
- تعرف يا له يا حسن الزباله دي كنز، مره تلاقي معلقه، ومره شوكه، مره حلق، بس شوف انا لقيت إيه. ده أول تحويشه حلق دهب.
- دي فرده، وبعدين تلاقيه دهب قشره.
- دا دهب ابن دهب، انا وريته للصايغ اللي عند المطراوي وكان عايز يشتريه وانا مارضيتش، ومره لقيت جنيه.
- لقيتي جنيه، بنت القحبه مفكراني عبيط، وهي سارقاه من لوزه، أمال دكها كانت نار قايده فيها ليه؟ وجوزها دبها علقه بسببه نسوان وسخه عايزه الحرق.
- مين، مين اللي طالع؟
- أنا، أنا يا واد ياحسن.
- مين عمي وحيد. إيه اللي جابك هنا.
- يا واد هو دا مكاني، انت إيه اللي جابك في البرد ده؟ دا احنا في طوبه يا وله.
- طوبه إيه والله مانا حاسس ببرد ولاحاجه. تعرف ياعمي وحيد أنا مش بردان، انا عايز افهم، فيه نار في صدري، تقدر تقوللي. ليه انت كدا؟ واحنا، وامي، ونبويه، وأم رامي، ولوزه، وبدر، حتى ام جلامبو. زمان امي وزنه يتخانقوه، وبعدين يرجعو ياكلو مع بعض، عم علوه يولع في الأوضه ويمشي، وابنه يموت.

بدر قاعده على الباب تلم قصاقيص وتخيطها، وتوديها لقريبها يعملهم سجاجيد ويبيعهم، وسايبه ابنها طول النهار العيال حاطينه في قفص ويجروه في الشارع، عاملينه الفسيخه الميته. وبعدين. ليه يا عمي وحيد، مش انت بتروح السيما وعارف كل حاجه؟.
– مش يمكن تعرف انت عني. انت في مدرسه وبتتعلم ومعاك مدرسين، إوعى يا حسن تسيب المدرسه. إوعى تعمل كده وتخيب. النهارده انا باضرب نفسي ألف جزمه، اني سيبت المدرسه. كنت في تالته اعدادى، وسقطت، كان المدرس صعب، وأبويا أصعب، وانا طايش، اهرب واروح السيم، سيما النهضه، والزاتون وسهير، وناديه، ولما كبرت لفيت العتبه وشارع عماد الدين. شفت أفلام، وعشقت ناس، حبيت ابقى فريد شوقى، واقعد ابص في المرايه واقول هو احسن مني في إيه. نفسي اكسر، واضرب، واحب، واشرب، واولع سجاير، يبقى معايا فلوس، وابوس بنات حلوين، السيما دي عالم، عالم يدخلك جواه، ويطلعك مولع، زي السيجاره. تعرف أول مره شربت سيجاره، بعت كتاب الإنجليزى لواحد صاحبي كتابه ضاع، ورحت السيما، وكبرت على العيال، وسموني الوحش. وابويا سماني الخايب. روح يا ساقط تعالى يا ساقط، لما طهقت، وقاللي: يا بغل يا ابن الكلب، عرفتلي طريق السيما، آهي دقني آهيه لو فلحت، ابقى شخ على قبري زي ابوك، دوخ واتلطم عند ده وعند ده يا بغل.

اتعلم يا حسن، وابعد عن الشر، ما تبقاش زيك زيي الحمار. بص، بص يا حسن شايف الجرح اللي في صدغي ده، أبويا السبب، كان نفسه ابقى متعلم، زي البهوات، لا بس بدله، وبيتي نضيف.

يقوللي اتجوز واحده حلوه، مش زى امك ريحتها سبله مـــن ريحـــة الحمار، وايديها مقرمطه من كتر الغسيل. وطلعت بغل وما ســمعتش كلامه، كان الشيطان بيدو ف وداني وصدقته.

– تعرف يا عمي وحيد، انا ساعات باحس انـــي عـــايز اســيب المدرسه، لكن كل يوم باعرف حاجات كتير، وباسمع حاجات كتيـــر، الأستاذ في الفصل بيحكي لنا عن حرب 67 والاستنزاف والضـــرب، والسد العالي، وقناة السويس، ساعات باحس انها حاجات صعبه، لكن باحب اسمعها. البت البيضه التخينه بنت ام فيفي، باشوفها تقف تحكي مع الأستاذ عن خطب عبدالناصر، والاستاذ بيبقـــى مبســـوط منهـــا، ويقول لها شاطره يا لهلوبه. بنت الكلب دي بتعرف الحاجات الكتيـــر دي منين؟ وعشان كدا انا باغير منها.

– نفسك تبقى زيها!

– نفسي افهم، الأستاذ بيشد حيلنا وبيدفعنا، الأستاذ بيقـــول لـــولا عبدالناصر، كان زمن اللي زيكم في الشوارع، وعلى الارصفه، أنـــا باحب عبدالناصر وعايزكم تحبوه. وجاب لنا فيلم عن الجهاز الدورى (القلب يعني) انحشرت وسط العيال، والاستاذ عمل نفسه مش واخـــد باله لإني ما دفعتش فلوس. وقعدت اتفرج وفي الآخر جابو صـــورة جمال عبدالناصر، العيال هيصو، والمدرسين قعدو يسقفو، والأبلوات تزغرد، وعبدالحليم بيغنى، كنا هانبي وآدي احنا بنينا السد العـــالي، واحنا نغني معاه، وجمال يضحك ويشاور بإيديه للعمال، أنـــا مـــديت

إيدي كنت قاعد في الصف الأول، كنت عايز اسلم عليه، ألمسه، شفته وهو بيمد إيده ويسلم، انا باحب عبدالناصر.

- هيه سمعتكم، سمعت كل حاجه.

- مين أنت يا مخفي النقا يا سعد.

- امي بتقول لك انزل من ع السطح لا تبرد يا بغل.

* * *

اسمع يا خويا انا هاحكي لك عن كل حاجه.

- أنا عايزه اعيش، عايزه فلوس، تعرف انا محوشه فلوس كتير مع خالتك صباح من الشغل، رحت أقول لها عليهم، قالت: يا عيني يانبويه، ما تصبري عليا ياختي كدا قد كام يوم، وأنا اعمل لك جميعه واديهم لك.

- كام يا نبويه كام؟
- قول ييحي عشرين جنيه أو اكتر، مش عارفه بالظبط.
- وهي وديتهم فين؟
- بتقول اشترت بيهم حبتين بضاعه، فوط على ملايات على طرح، ودفعت تقديمة حتة أرض في المرج، وهاتتقسط كل شهر اتنين جنيه. وطول النهار مسرحه عيالها يلمو طوب، خشب، صفيح، اللي يلاقوه، تقول علشان نبني البيت.
- بنت الرفضي. تبني البيت على حسك.
- والنبي ورحمة عصفوره يا خويا ما تقول. لامك تزعل، وتقول البت استخسرت تديني الفلوس.
- وامك عايزه الفلوس ليه؟
- لوزه غاوتها وقالت لها فيه أرض ناحية العرب، عند المسله رخيصه، تعالي نشوف لنا حته نشتريها.
- وأمك معاها فلوس منين؟
- اقول لك ولا تزعلش.

- امك بتبيع عيش، عند الفرن. بتقعد بالعيش البايت والسحله اللي طالع من الفرن، تبيع الرغفين بتعريفه، وساعات التلاته بقرش.
- ازاي من غير ما اعرف.
- بتطلع الصبح بدري. الفجر واحنا نايمين، تروح لحد الساعه سابعه وبعد كدا تجيب العيش والطعميه وتصحينا، أمال احنا بنصرف منين، ومصاريف الكتب والمدارس. والواد سعد عارف وساعات بيروح معاها.
- سعد عارف، وانتي عارفه. وانا طيشه.
- وطي حسك، لحسن تسمعك.
- ماتسمع.
- إيه هو عيب ولا حرام، التجاره شطاره.
- وانتي عرفتي الكلام ده منين؟
- ام جلامبو.

دايمن تقول كدا. تقول الواحده الشاطره، تعرف تجيب القرش منين، وتحافظ على نفسها، مش طول النهار قاعده طيزها تسف تراب من الأرض.

- يا حسن.. يا حسن.
- مين؟ عمي وحيد؟
- تعالى عايزك شويه.
- تعالي انت أنا اللي عايزك. اعملي كوباتين شاي، فزي، قومي.
- اسمع يا حسن، انا ماشي، هاسيب لك الأوضه شهر ولا اتنين، اقعد فيها وذاكر، لما ارجع يحلها ربنا.

- رايح فين؟
- الفنانين عاملين حفلات للجيش، وانا رايح هناك.
- تعمل إيه.
- ما انا خلاص اشتغلت في السيما، دا خلاص بقى زي المرض.
- فريد شوقي برضه؟!
- دا عشق، زي ما انت بتعشق عبدالناصر. حلوه صورته دي وسط عياله. خالد وعبدالحكيم وعبدالحميد، ودي صورته لوحده ربنا يخليك يا ريس.
- هاتسيبنا يا عمي. هاتسيب نبويه.
- نبويه دي فحله.
- بس أوفه قالت...
- أوفه دي صغيره وسهله، لكن نبويه دي طوفان، نار تحرق من بعيد، واللي يقرب منها يولع.
- قوللي ياعمي انت تعرف إيه عنها.
- أعرف حاجات كتير. كانت تحكي لي عن كل حاجه، الزباله، والفلوس، والعيال اللي ضربتهم، وسرقة العيش من الفرن، والواد لالو، ومليم وسردينه.
- سردينه مين؟
- فحل حاول مره يتهجم عليها في السوق. مسكته عجنته. قلت لها: وقدرتيعليه يا نبويه. "قالت انت ناسي يا عم وحيد اني اتولدت في الزباله". اختك قاسيه قوي، قلبها حجر.
- ما حاولتش مره...

- آحاول إيه، ممكن اكون بوستها، ضمتها، لكن ما وصلتش زي ما أوفه بتقول. انت فاكر إيه لسه بدري عليك يا حسن.

- إيه؟.

- أمال انت فاهم إيه؟

- انت بتبوس الصور وتضحك عليا. انت لا تعرف فريد شوقي، ولا حد، ولا بتروح السميا من أصله، انت حيلتك مليم احمر.

- طاخ.

- انت بتضربني.

- واموتك كمان، امشي اطلع بره ومش هديك الأوضه، هسكها ع الفاضي. عبيط ومش عارف حاجه. وانا اللي افتكرتك راجل صدقت حسنه لما قالت عليك فحل.

* * *

السطح لين، لين، خفيف، والأرض ناعمه.

والسما زي الحرير، والقمر فوق باصص، طبق مدور كبير، والقفص الجريد في الركن مكانه زي امبارح، وأول، وكل يوم، وهي باصه لفوق، وسرحانه. وبالراحه بالراحه قوي، رحت ماشي، بشويش على أقل من مهلي. وناطط مره واحده....

إنتي بتعملي إيه، بخ.

– يابن الكلب يا بعبع. إخص عليك يا سعد خضيتني. إيه اللي طلعك هنا؟

– مش احنا متفقين نلعب عروسه وعريس.

– إنزلي يا مخفية النقا يا ألفت، مش قلت لك بطلي تطلعي ع السطح. وانت ياد انت، إبعد عنها أحسن لك، بدل ما اطلع لك رامي يموتك.

* * *

انا اتجوزت، كانت شاديه وفايزه وصباح. طالعين جداد.

والراديو كان قليل، كل كام بيت تلاقي راديو، بنتـــي الأولـــى، اتولدت يوم ما عبد الحليم كان بيغني (قوللي حاجه). كانت إيه مفرقعه قوي، تمشي في الشوارع وعلى القهاوى، تلاقـــي الـــراداوى علـــى الآخر.

– انا كمان يا ام فيفي اتجوزت سنتها تقريبا، كانت صباح بتغنـــي (ع البساطه). ياه الدنيا جريت قوي، فين (الغاوي ينقط بطاقيتـــه)، ولا (ما تزوقيني يا ماما). انا بنتي بتحبها موت.

– يا سلام يا ام رامي الدنيا راحت فين. الضحك غلي، والحياه غليت، وما رخص إلا البنى أدم.

– ومين سمعك يا ام فيفي، هتديني الجمعيه الكام. انا هادخل بنفرين، عايزه الأول والآخر.

– وماله يا اختي، خدي اللي عايزاه.

تصبحي على خير.

– وانتي من أهله يا ام رامي، سلمي لي على العيال، امسكي خـــدى دول، حتتين جبنه من البلد خديهم، يا اختي خدي.

– يا خد عدوينك، يكفيكي شر اللي ما تطيقي شره، يا ام فيفي.

– اسمي تهاني، قولي يا تهاني يا بت مسعده عشان الدعوه تجوز.

* * *

أنا تغيرت، واتمرمطت، لفيت وشفت

الخوف، والجوع، والحب، ووقعت، وقمت.

اتكفيت على وشي ياما. ولا حد سأل، الكل ضحك حتى فريد شوقي ضحك عليا. ف يوم عرفت أنه له فيلم جديد في سيما مترو، رحت وهتفت، وهللت عاش الوحش، عاش الملك. عاش ملك الترسو. بصيت لقيت شوية طلبه جايين من آخر قصر النيل يجرو بالشوط، والعساكر يجرو وراهم، لكنهم كانو عمالين يهتفو، بالروح بالدم نفديك يا جمال، هنحارب، هنحارب، يا اسرائيل يا أرانب. والعربيات عماله تلم وتعبي. فريد بيه راح داخل جوه عربيته. بصيت عليه من الإزاز، وقلت له: خدني معاك، دا انا اعجبك قوي. قاللي: بعدين، بعدين.

راحو شايلينى هيلا بيلا جوه العربيه ما عرفتش انا فين؟ إلا لما جه واحد جنبي وقاللى: انت في كلية إيه. ساعتها استغربت وعرفت بعد كدا انا فين؟

– ياعيني عليك ياخويا، بيتك ومطرحك وكله يهون، خد اشرب، شوية اللمون دول.

– تسلم، تسلم إيداك يا ام حسن.

– قول يا حسنه، انت نسيت ولا إيه ؟ إحنا اخوات. وانا ياعتبرك زي اخويا بالظبط.

– وانا كمان. ربنا يعلم اللي في القلوب.

* * *

أجر وعافيه يا خالتي ام عكاشه.

- والله يا حسنه يا بنتي هأودع. ياللا حسن الختام.
- شويه برد يا وليه يعملو فيكي كدا؟ تعالي يا ام رامي وادخلي.
- خدي يا خالتي شربة الملح آهه بالهنا والشفا.
- يا اختي اللي يديها حلة محشي ولا نابت تقعد بيها في الميدان، تقوم تبرطع على طول.
- يووه يا حسنه الوليه مش حملك.
- طب اسكتي. خالتي ام عكاشه الصعايده في ميدان المطريه بيسألوا . عليكي، واحشهم العدس السخن.
- والله ما حأيشني عنهم إلا الشديد القوي، جنبي هيتفرتك مني ما عرفش ليه؟
- ما تقومي نوديكي للدكتور.
- الشافي هو الله. دلوقتي آخذ شربة الملح، وبطني تمشي، واقوم زي الحصان.
- خدي يا ام رامي، نقي شوية الفول دول وبلّيهم.
- على فكره يا خالتي، لو عايزه عدس ولا فول، ولا زيت، الوليه ام جلامبو عندها جوه اكوام، اكوام. أنا شوفتها واقفه ف طابور الجمعيه، هي وام لالو البقاله وعمالين يحولو. والراجل ابو وش احمر، قلع الحزام ونزل في الناس ضرب. وبتوع اللامون هجمو، وبقت خناقه لرب السما. واللي تصوت، الفلوس اتسرقت منها،

واللي زيتها انكب منها. انا شفت كدا رحت راجعـــه. راح الـــواد السويسي اللي بيقولوله يا سردينه، قريب الوليه ام جلامبـــو، هـــو والواد مليم العرايشى، دخلو الجمعيه وقفلوها من جوه.

– وانتي إيه اللي وداكي يا ام رامي.

– قلت اجيب إزازه زيت، العيال نفسهم في المحشي، شافوه في إيـــد الواد ابن ام فيفي.

– آه منها الوليه ام جلامبو، تلم الحاجات من الجمعيه، وتبيعها الطاق طاقين، أنا شفت ام فيفي بتاخد منها.

– آه يا حسنه، منهم لله بقى، غلو علينا الميه وسدو عنا الهوا. كل ده ومش مقضيها، بتلف قراطيس شاي وسكر وتبيعها بقرش وقرشين. اللي غايظني الراجل ابو واش احمر اللي واقف في الجمعيه، انـــا شايفه العربيه وهي بتنزل الشاي والسكر، وانا في البلكونه عنـــد ام داود في المساكن. وعلى ما نزلت ورحت، يقول اللي معاه بطاقـــه يقف، واللي معاهوش يمشي. واتحايل على الراجل انه يديني إزازة زيت ما رضي ابدا. رغم انه عارفني ويامه جه صلح عندنا جزم، وكنت ساعات ما ارضاش آخذ منه فلوس، وأقول آهو غلبان.

– هي الدنيا كدا أتنشئت على حرب وهتروح على حرب. قومي من بين لعتاب، قاعدة لعتاب وحشه، الملايكه ماتحبهاش، قومي يا اختي قومي.

* * *

حسان اليماني قال: الدنيا نشئت على كفر وها تروح على كفر.

وهاتكتر فيها الحروب، والناس هتاكل بعضيها.

– *جبتي الكلام ده منين يا خالتي ام عكاشه؟*

– *زمان أيام ما كان البال رايق، كنت احب اروح الجوامع اسمع الأحاديث، كان فيه يوم الجمعه في الحسين، والتلات في ابو السعود، والخميس في السيده. وغيرها وغيرها. كانت حماتي تاخدني من إيدي، وتفضل نلف، ناخدها جوله من أول السيده، لنفيسة العلم، للسيده عيشه، للجيوشي، للحسين، ونلف طول النهار على رجلينا. وفي الآخر نرجع على سيدك المطراوي. نصلي العشا وننام. ما هو بيقولك سيدى المطراوي ده من نسل النبي، وسيدي زين العابدين، ابن الحسين، والسيده زينب اخته، ونفيسة العلم بيقولك كانت متبحره في العلم وتقعد مع العلماء وتجالسهم. ياه كان الزمن غير الزمن، والبال غير البال. كان ممكن الواحد يلف مصر كلها على كعبه، كانت الصحه هبله، والعافيه بتغر صاحبها. وعمك ابو عكاشه كان يتكل على الله يروح الشغل واحنا نلف: اليومين دول مش عارفه حماتي عماله تحوم عليا ليه؟ وعماله اشوف ناس ماشفتهمش من زمن، حتى حمايا اللي مات قبل ما اتجوز ولا عمري شفته. لقيته جاي. وناس راحو، وناس قاعدين.*

– قلبي مقبوض يا بت يا حسنه، وعيني الشمال بترف، الله ما اجعله خير.

– كله على مراده يا ام رامي، ربنا يستر.

– حاسه بزعل كبير جوه قلبي، وطول النهار منكده، وزي ما اكـــون عايزه اعيط، تصدقي بالله يا حسنه، انا انا حاسه، نفس الإحساس ده بالظبط يوم ابويا ما مات، وامبارح شفته في المنام زعلان، ولا بس جلابيه سوده، ومعفره زي اللي يكون جاي من سفر، أنـــده عليـــه مايردش. زي ما يكون حزين وواخد على خاطره.

– الأموات قلبهم بيحس باللي هايحصل.

– أبويا كان يقوللي الروح الطاهره بتخبر أهلها أول بأول. تصدقي يا بت يا ام رامي لو قلت لك أن انا ما معاييش ولا تعريفـــه، تقـــولي كدابه، ومش عارفين نتعشى إيه؟

– يا حبيبة اختك يا اختي. اسمعي، انا عندي شوية ملوخيه ناشـــفه، وحتة دهن ضانى من بتاع العدرا. والله آخر حته، مش مهم، خديهم يا اختي وعلى شوية ميه وكتري لهم الفص التوم وطشيه علـــيهم، وآهو العيال ياكلوه، وبكره ربنا يفرجها. ولا أقولك اقوم انا اعملهم واحط لهم حباية قوطه، آهم يطعموهم شويه، وخدي شـــويه وانـــا شويه والعيال يتعشو. ولا اقولك أنا هالم العيال كلهم واعشيهم مـــع بعض.

– يطعمك ما يحرمك. يا ام رامي يابنت ألا، هي امك اسمها إيـــه ! يابنت حوا وآدم.

* * *

ولا أهل يسألو عليا. أنا مقطوع وقعدت لكم آهه.

– إيه الظيطه اللي بره دي يا حسن؟

– إلحقي يامه، الواد العبيط، لالو جاي ومعاه عيال كتيـــر، وعمـــال يزقل بالطوب.

– إيه ياولاد، إيه الهوجه دي كلها، مش خلاص المـــدارس قربـــت، روحو شوفو حالكم.

– خالتي حسنه، خالتي حسنه، مالكيش انتي دعوه. انا عايز الوليه ام. ام جلامبو الحراميه سرقت، سرْقت الزيت والسكر بتاعنا.

– معليش يالالو، خد يا خويا الجرمق اللي انت جايبـــه وراك، وانـــا هاكلمها،

– تكلمي مين يا امه. إوعي من سكتي، روحي، روحي إن كان هـــو لالو العبيط فانا ام جلامبو، فاكراني هاخاف من الطـــوب والكـــلام الخايب ده. وسعي وسعي. خد قرش آهه وروح لامك يـــا شـــاطر. زفوه يا عيال وقولو: العبيط آهه. العبيط آهه.

* * *

وكانت ليله، انقلبت الدنيا.

جه العالي في الوطي، اللي راح، واللي دمه ساح، واللي مش مصدق اللي حصل. احنا قلنا القيامه قامت. بصينا يا حبيبتي لقينا جراد نازل علينا، وعلى خوانه، وراحو داخلين دب... دب، طاخ.. طاخ. بالطوب والعصي والأزايز ما بقناش عارفين الداهيه دي جايه منين؟ أتاري الواد لالو، فضلو عيال ام جلامبو يزفوه لحد الدكان، هناك في شارع البحار. انا قلت دي غاره، واسرائيل نزلت دب زي ما بنسمع، او يمكن تكون رمت علينا قنابل زي مصنع ابو زعبل. المهم يا ستي، ولا ستك إلا انا. فضل الموال ده يجي ساعه، الضرب شغال، والتكسير على ودنه، والصوات داير، ومابقناش عارفين مين بيضرب مين. أم لالو وعيالها وقرايبها، والواد سردينه لم الصيع بتوعه، بتوع السمك وجم، وام لالو، لمت شارع البحار وشارع عيسى وشارع العبايطه، وكتير من البقالين بالشوم والنبابيت، وكانت مجزره، فضلت لأدان المغرب شغاله، ولا حد استجرى يروح القسم.

– ياحزن قلبي، والله ياحسنه بقينا منطظه، وملطشه للي يسوى واللي ما يسواشي.

– أمال إيه يالوزه، ماهو كلابها سابت على ديابها. من يوم ام جلامبو ما جات وجه خيرها، وكل ده علشان الفلوس، والزيت والسكر، اللي نازلين فيه نهب من الجمعيه، وتندار تبيعه بالغلا والكوا.

– ألطف بينا يارب. الطف بعبيدك. حبه، حبه، يخش بيتنا نَّور. والحراميه، وقطاعين الطرق.
– ولايهمك يا لوزه. انا سمعت انها هاتعزل خدت شقه في عماره ام ليله اللي في عين شمس، وبكره تغور.
– اسمعي يا حسنه ما تيجي نعمل زي الوليه ام رامي ونشتري أرض بالقسط، يعني هي اشطر مننا في إيه؟
– أم رامي عرفت تجيب القرش منين. وما تفرقش عن ام لالو، تشتري الفوط والملايات من الجمله رخيص، وتبعها بالغلا والكوا للناس. دي حتى حاجتها حراقه. خدت منها مريلتين للعيال، عايزه تاخد بزيره قسط على كل واحده.
– اسمعي يا حسنه البت نبويه سرها مع ام رامي، دحلبيها وسيبيها لحد ما تعرفي تاهديهم منها. وام فيفي بتعمل جمعيه ادخلي معاها، المهم لمي لك قرشين، قد عشرين جنيه، وانا هابيع السرير، على حله وطشطية نحاس ومعايا قرشين، وتعالي نرميهم لراجل في المسله بيقولو طيب قوي، ونتفق معاه على حته قولي مية متر ونقسمها. وآهو كله بيروح زي مصاريف، إيه يعني اتنين جنيه في الشهر؟
– يا اختي، اسكتي، اسكتي، انتي فكرك حكايه العيش الرجوع بتكسب، أبدا وحياتك، دا حتى فيه وليه بتيجي من العرب كل يوم الصبح بتعبي من الفرن عربيه كارو، بيقولو بتاخدها وتبيعها هناك.
– يخيبك مَرَه، وسبتيها تاخد منك العيش.
– آهو ربك اللي بيرزق، تلاقيها صاحبة عيال.

* * *

يخيبك وليّه، تعالي يا نبويه، شوفي خيبة أمك.

- خيبة إيه يا لوزه، انتي ها تعددي.
- اسكتي يا حسنه يا بايظه، يا ام عيش. دا انا لو منك آكل مصارينها أكل. مش شايفه الوليه أم جلامبو وعيالها عاملين ازاي.
- اسمعي يالوزه كدا اسمعي.

إيه الصويت اللي مالي الدنيا ده. ياساتر يا رب. قومي شوفي إيه، قومي، طلي من الباب كدا.

باينها حريقه جامده قوي ياحسنه. شايفه الناس طالعه يمة القسم، وعماله تجري بالشوط.

- اسألي يا بت حد كدا ولا كدا: رجليا منمله، مش قادره أقوم، عامله زي ما اكون اتشليت. اسألي ام فيفي، سامعاها بتصوت.
- إيه يا ام فيفي. إيه يا ولاد سيبتو ركبي.
- صوتو يا ولاد صوتو. صوتي يا بت انتي وهيا. الريس مات.
- اسكتي يا بت اسكتي. تفي من بقك، الشر بره وبعيد. يا لهوتي، الشر بره وبعيد.

الشر بره وبعيد.

* * *

اسم الله عليك يا جسرنا العالي.

اسم الله عليك يا ابو اسم غالي. الدنيا اسودت وضلمت بعدك. يا ترى سهم مين اللي صابك وكان طايش. آه يا حبيب اختك يا خويا.

ياعامود بيتي والعامود هدوه، يا هل ترى في بيت مين نصبوه؟

ياعامود بيتي والعامود رخام، يا هل ترى في بيت مين اتقام؟

آه يا غالي يا ابوضحكه حلوه يا خويا، يا ابو هله وطله، يا ابو كلام رايق، . يا طول بعرض ياغالي.

– كفياكي يا حسنه يا ندابه، عنيكي بقو كاسات دم.

– اسكتي يا بت اسكتي. دا الحزانه تحزن عليه العمر كله. دا كان ابونا واخونا.

– ومين لينا من بعده يا لوزه؟ دا الدنيا كلها حزينه، والناس وشها اسود.

– حقه يا ام رامي، الوليه ام عكاشه من ساعة ما سمعت الخبر الشوم، وهي نازله لطم وبكا تقوليش ابنها. فضلت تجعر وتولول، وشانقه رقبتها بالشاش وعلى قوله يا ولدي.. يا ولدي اسمعو آهه صوتها.

نادى المنادي وطوح النبوت.

روح بلادك يا غريب لا تموت.

نادى المنادي وطوح الحربه.

روح بلادك يا غريب أولى.

– لا حول ولا قوة إلا بالله. الوليه فاكره ابنها. بصي.. شوفي يا حسنه ازاي خارجه، وشانقه نفسها. الوليه هاتفطس حلّقي عليها يا حسنه، حلّقي يا ام فيفي. الوليه خارجه...

جاني الخبر من بعيد وانجر

اسم الله عليك ألف بعد الشر.

جاني الخبر من بعيد مجرور

اسم عليك ما حد يقول

– دا حتى العيال الصغيره، ماسكه أعلام سوده ودايره تلف في الشوارع، والواد المخفي النقا ابني سعد، لأول مره يمسك في خناق اخواته ويزعق معاهم، قال إيه عشان راحو المدرسه. قال لهم: ازاي الدنيا خارجه وانتو ولا هاممكم. تفتكروا المدرسه فاتحه عشان خاطركم. مصر كلها ف حداد يا بقر.

وسايباه يعمل في أعلام سوده ويفرقها على العيال كل ما يعدو.

وحتى عيالكم لمحتهم بياخدو منه ويفرقو على العيال.

– حقه يا ام فيفي ساعة النكسه قلنا دا أكبر حزن ممكن نحزنه، أتاري فيه الحزن اللي أكبر منه.

– هيا دي حال الدنيا يالوزه، هيا دامت لمين. ما دايم إلا وجه الله.

– اسمعو.. اسمعو الشباب معدي بيقول إيه:

– اسكتوا.. اسكتو يا بنات اوعو تقول الريس مات.

– اسكتوا.. اسكتو يا بنات اوعو تقول الريس مات.

– يالهوى. يا خرابي.

– صوتي يا بت صوتي. إدي جامد يابت يالوزه.
– يووه روقو كده يا ولاد. أمال بكره هانعمل إيه، وبعده وبعـــده، دي الأيام طويله.
لا فيه رجال قبله ولا بعده. هو زاجل والرجال تشهد له.
هو راجل والرجال تشهد ليه. ولا فيه رجال قبليه ولا بعديه.
عددي يا معدده وقولي. قولي ياحسنه كأن أبوكي هو اللي مات. يـــا لهوتي.
– ياخرابي. إدي يا بت يا ام فيفي إدي. صوتو يا ولاد صوتو.

* * *

ما حد عارف دي مظاهره، ولا هوجه.

الناس هاجت من بيوتها، ودايره تلف وتعدد حتى العيال، ماحـــد عارف دا بكا ولا نواح. اسمعي كده يا حسنه اسمعى.

– سامعه يابو سعد سامعه. حزن كبير يا خويا. حزن كبير واتلفحنـــا بيه.

– يا ترى الأيام اللي جايا مخبيه لنا إيه؟

– اسمع العيال بيقولو إيه: (ساب لك إيه يا صبيه حبيبك لما مات...) هاجت الناس هاجت. وكل البيت خرج صغير مع كبيـــر والنـــاس نسيت الحرب والنكسه. وما افتكرت إلا حبيبها اللي مات. غنوا يـــا ولاد، قولو(ساب لك إيه يا صبيه حبيبك لما مات...)

* * *

تمت

5 يونيه 1998

صدر للكاتبة:

- **حكايات الليل** (مجموعة قصصية مشتركة) 1984.
- **تلك القاهرة** (ديوان قصص) 1990.
- **أشياء صغيرة وأليفة** - (قصص)- أصوات أدبية- 1996.
- **بنات في بنات** (قصص)- كتابات جديدة- 2001.
- **من حلاوة الروح** (رواية بالعامية)- رؤى- طبعة أولى- 2002.
- **ريح السموم** (رواية)- مكتبة الاسرة- 2003.
- **أغاني وألعاب شعبية للأطفال**- دراسات شعبية- 2004.

تحت الطبع:

- **سيدة المكان** (قصص).
- **في الليل ما خلي** (رواية).
- **حكايات بجوار السلطان** (رواية).
- **داية وماشطة** (دراسة).
- **صورة المرأة في المثل الشعبي** (دراسة).
- **أغاني أفراح** (جمع ميداني).

من إصدارات "دارسنابل"

- **أن تعيش لتحكي**
  السيرة الذاتية للكاتب العالمي:
  جابرييل جارثيا ماركيز
  ترجمة: د. طلعت شاهين
- **ليالى القصف السعيدة**
  نصوص وقصص
  محسن الرملي
- **ليلة شهر زاد الأخيرة**
  شعر
  مقداد رحيم
- **جماليات الرفض**
  في مسرح أمريكا اللاتينية
  دراسة
  د. طلعت شاهين
- **القرمية**
  رواية
  سمحية خريس
- **طلسمات مصرية**
  دراسة
  محمد حسين يونس

- **نضارة شمس**
  شعر
  عطية حسن
- **ذكريات**
  (الطبعة الثانية)
  جابرييل جارثيا ماركيز
  ترجمة: د.طلعت شاهين
- **رصيف يصلح لقضاء الليل**
  شعر
  سامي الغباشي
- **كتاب العشق والدم**
  (باللغتين العربية والأسبانية)
  شعر
  د. طلعت شاهين
- **قطرات الماء**
  للكاتب الياباني:
  ميدوروما شون
  ترجمة: د. أحمد فتحي